الفصل الأول

أثر علم الحديث في المنهج التاريخي

يتطرق هذا الفصل إلى المباحث الآتية:

- المبحث الأول: التاريخ الإسلامي .. البداية ثم المنهج.
- المبحث الثاني: نقد السند.
- المبحث الثالث: نقد المتن.

obeikandi.com

obeikandl.com

الفصل الأول

أثر علم الحديث في المنهج التاريخي

المبحث الأول

التاريخ الإسلامي، البداية ثم المنهج

التدوين التاريخي عند المسلمين.

١- التاريخ لغة واصطلاحا:

التاريخ لغة: يأتي بمعنى التوقيت، وكذلك التواريخ،وبمعنى العهد، أو الحساب، أو تحديد الوقت، والحوليات، وتسجيل أهم حوادث الأمم، والأخبار مرتبة بحسب العصور[١].

---

(١) ينظر الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م) مختار الصحاح، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٧٩م ص ١٣ (أرخ)، ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) لسان العرب، دار لسان العرب - بيروت ١/ ٤٤(أرخ)، الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م) الصحاح في اللغة والعلوم: إعداد وتصنيف نديم مرعشلي، الطبعة الأولى، دار الحضارة العربية - بيروت ١٩٧٤م ١/ ١٦(أرخ)، جب: علم التاريخ. ص١٥، ٢٦، روزنثال: فرانز، علم التاريخ عند المسلمين: ترجمة صالح أحمد العلي، مكتبة المثنى - بغداد ١٩٦٣م ص١٩-٢٥. مجموعة من المستشرقين: دائرة المعارف الإسلامية: ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون، مطابع الشعب - القاهرة ٩/ ١١٠، ١١٥ (مادة تاريخ)، حاجي خليفة: المولى مصطفى بن عبد الله الرومي (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ١/ ٢٧١.

اختلف الباحثون عن أصل هذه الكلمة، هل هي عربية أم غير عربية؟ فقد ذهب الأكثرون إلى أن أصلها غير عربية لكنهم أيضاً اختلفوا هل هي فارسية وأصلها (ماه روز)، أم عبرية من (يأريخ) و(يرح) بمعنى القمر، والشهر، أم سريانية، أم أثيوبية؟ ومع ذلك ذهب جمهورهم إلى أنها غير عربية. ينظر تفصيل ذلك الأصبهاني: حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، مكتبة الحياة - بيروت ص ١٢، البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) الآثار الباقية عن القرون الخالية، طبعة ليبزك ١٩٢٣م ص ٢٩، الخوارزمي: محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) مفاتيح العلوم، طبعة فإن فلوتن ص ٧٩، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)

التاريخ اصطلاحاً، قيل هو: ذكر الأخبار الخاصّة بعصر أو جيل[١].

وقيل: حوليات عن البشر[٢] وقيل هو: أخبار ماضي الأمم[٣]، ويُعرّفه لانجلوا[٤]: "بالآثار التي خلفتها أفكار السلف وأفعالهم".

أما جوزف هورس فيعرفه بـ (الوثائق):

"مجمل الحوادث. الملحوظة التي تجلت فيها حياة البشرية، وتتجلى فيها اليوم، وستتجلى فيها غداً"[٥].

ويقول السير تشارلزفيرث[٦]:

"التاريخ شيء لا يسهل تعريفه ولكن يبدو لي أنه سجل لحياة المجتمعات الإنسانية، وللتغيرات التي اجتازتها تلك المجتمعات وللأفكار التي تحكمت في توجيه نشاط تلك المجتمعات، وللظروف المادية التي ساعدت أو عاقبت تطورها".

الشماريخ في علم التاريخ، تحقيق محمد بن إبراهيم الشيباني، الدار السلفية -الكويت ١٣٩٩هـ ص ١٠، جب: المصدر السابق ص ٢٦، ٢٧، فياض: عبد الله فياض: التاريخ فكرة ومنهجا، مطبعة اسعد - بغداد ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ص ١٠، مصطفى: شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين ١٩٧٩م ١/ ٤٩-٥٠.

يقول عبد الحميد العبادي: أن كلمة تاريخ (بتسهيل الهمزة) تفيد عند كتاب العرب معنى: العلم، من تحقيق، وضبط، كقول سفيان الثوري: لما أستعمل الرواة الكذب، استعملنا لهم التاريخ، أما التاريخ (بالهمزة) فتفيد عندهم مطلق التعريف بالوقت، فهو أسلوب لأداء أي فن، ينظر: هرنشو: علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، الطبعة الثانية، دار الحداثة - بيروت ١٩٨٢م ص ١٧ - ١٨ (المقدمة).

وقد تكون الكلمة عربية، ومأخوذة من كلمة الأرخ، والارخة بمعنى الفتية أو ولد البقر، ثم أخذ التاريخ منه بمعنى شيء حدث كما يحدث الولد. ويؤيد ذلك ما ذهب إليه مارجليوث، في أن مادة ورخ موجودة في عربية الجنوب، ينظر: ابن منظور: المصدر السابق ١/ ٤٤ - ٤٥، شاكر مصطفى: المصدر السابق ١ / ٥٠.

(١) ينظر ابن خلدون : المقدمة ص ٣٢ (دار القلم ١٩٨٤م).

(٢) ينظر هرنشو: المصدر السابق ص٦-٧ ويطلق على ثلاثة معان عنده وهي داخلة في التعاريف التي ذكرناها، وينظر كذلك: جب: المصدر السابق ص٩٠.

(٣) ينظر مجموعة من المستشرقين: دائرة المعارف الإسلامية ٩/ ١١٠، فياض: المصدر السابق ص٧.

(٤) ينظر مجموعة من المؤرخين: النقد التاريخي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية - القاهرة ص ٣٣.

(٥) قيمة التاريخ ص١٠.

(٦) أ. ل. راوس: التاريخ أثره وفائدته، ترجمة مجد الدين حفني ناصف، مؤسسة سجل العرب - القاهرة ١٩٦٨م ص ١٥، وينظر كذلك هرنشو: المصدر السابق ص ١٥.

أما المؤرخ الإسلامي الجبرتي فيعرف التاريخ بما يأتي[١]:

"اعلم أن التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم وأنسابهم ووفياتهم.

وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسلاطين وغيرهم والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية من حيث هي وكيف كانت وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تغلبات الزمن ليتحرز العاقل عن مثل أحوال الهالكين من الأمم المذكورة السالفين ويستجلب خيار أفعالهم ويتجنب سوء أقوالهم ويزهد في الفاني ويجتهد في طلب الباقي".

نستخلص من تلك التعاريف ما يلي:

أن التاريخ الجهد الذي يبذله المؤرخ بالعمل المتواصل والتفاعل مع أخبار وأحوال الأمم الماضية، للوقوف على حقائق الأخبار وتخليصها من الأباطيل[٢].

وكان المسلمون يستخدمون كلمة الأخبار، والعدّ في بداية كتاباتهم التاريخية، جاء في البخاري[٣]: "ما عدّوا من بعث النبي ﷺ ولا من وفاته. ما عدّوا، إلا من مقدمه المدينة".

٢ـ الفرق بين المؤرخ والإخباري:

من المعلوم لدى المؤرخين أن **الإخباري**[٤] يطلق على من يجمع الأخبار في جميع مناحي الحياة، ويحافظ على كيفية اتصالها من حيث روايته بطريقة (السماع الشفوي) وهي الغالب على

---

(١) الجبرتي: عبد الرحمن بن حسن (ت) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الناشر: دار الجيل - بيروت ١/ ٦.

(٢) ينظر ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) المقدمة، دار القلم - بيروت ص ٧ - ٢٥، السخاوي: محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دمشق ١٣٤٩هـ ص ٧، حاجي خليفة:كشف الظنون: ١/ ٢٧١، علي: جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام - بغداد ١٩٥٠م ١/ ١٦، ماجد: مقدمة لدارسة التاريخ الإسلامي ص ١٢ - ١٣.

(٣) ينظر ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز عبد الله بن باز، المطبعة السلفية - المدينة المنورة ٧/ ٢٦٧ (٣٩٣٤) باب التاريخ، شاكر مصطفى: المصدر السابق ١/ ٤٩.

(٤) والصحيح الخبري، فقد عد ابن هشام ذلك من اللحن، لأن النسبة إلى الجمع ترد إلى الواحد كما تقرر في علم التصريف. ينظر السيوطي: تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، الطبعة الخيرية ١٣٠٧هـ ٢/ ٢٠٨.

طريقة الإخباريين أو عن طريق المدونات من قبل الرواة الأوائل[١].

أما المؤرخ: فهو الباحث عن الخبر في ذاته زيادة في تحري الحقيقة وتدقيقها وتحقيقها وتمحيصها، والتوفيق بينها، وكذلك ترتيبها واختصارها وأخذ الصحيح منها، وترك ما سوى ذلك من الأباطيل والموضوعات[٢].

٣ـ موضوعه وفائدته:

موضوعه هو: معرفة أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم وسيرهم ودولهم وسياسات ملوكهم.

فائدته: العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن، ليتحرز عن أمثال ما نقل من المضار ويستجلب نظائرها من المنافع[٣].

٤ـ التاريخ عند العرب:

لا نكون بعيدين عن الواقع إذا قلنا: أن لا وجود للتاريخ وعلم التاريخ في ديار العرب قبل الإسلام[٤]، لكن الفكرة التاريخية قد تكون موجودة عندهم بشكل ضئيل، وهذا لا يسمى تاريخاً بالمفهوم المعروف لدى المؤرخين.

"ففي جنوب الجزيرة تشير الكتابات والنقوش إلى ظهور أربع ممالك خلال الفترة (١٢٠٠ق.م، و٥٠٠م) وقد خلفت هذه الممالك كتابات تتراوح تواريخها قبل القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السابع الميلادي، وتسجل تلك الكتابات مختلف الفعاليات مثل أعمال البر، والتقوى، والحملات

---

(١) ينظر السخاوي: المصدر السابق ص٤٨، جب: دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٤م ص ١٤٤، ماجد: المصدر السابق ص ٣٥، : بدري محمد: شيخ الاخباريين ص ١١-١٢ والذي يظهر أن ابن النديم، لم يفرق بين الاخباري والمؤرخ، بالرغم من تخصيصه مساحة واسعة للمؤرخين وأصحاب السير والاخباريين ينظر: الفهرست ص ١٣١-١٦٧.

(٢) ينظر ماجد: المصدر السابق ص ٣٥، بدري محمد: المصدر السابق ص ١٢، هورس: قيمة التاريخ ص ١٩.

(٣) ابن خلدون: المقدمة ص ٧، وينظر أيضاً حاجي خليفة: المصدر السابق ١/ ٢٧١، ويحدد موضوعه هرنشو فيقول: (إن نطاق التاريخ يتسع لجميع الصوالح البشرية، فكل ما يقع من الإنسان أو يقع عليه وكل ما يبنيه أو يهدمه داخل في حدود البحث التاريخي) علم التاريخ ص ٩.

(٤) ينظر زيدان: جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، تعليق حسين مؤنس، مطابع دار الهلال ١٩٥٨م ٣/ ٩٧.

العسكرية ومشاريع الري.... الخ"[١].

وهذا التطور مع تسجيل الأعمال البشرية قد يوحي بوجود شيء من الفكرة التاريخية.

ذكر المستشرق الكبير: مرجليوث، أن مادة (ورخ) كانت موجودة في عربية الجنوب، وإن كانت معدومة في عربية الشمال، مما يوحي بوجود تلك الفكرة التاريخية وإن كانت مجرد فكرة بسيطة للغاية حول هذا الموضوع.

أمّا العناية بالرواية وحفظ الأيام، والأشعار وغيرها فقد كانت موجودة قبل الإسلام، وقد كونت هذه المواد؛ الأخبار والأساطير حول بدأ الخليقة، وبعض أخبار الأمم الماضية، والعرب البائدة، وأيام القبائل وثاراتها والتي كانت تنشأ لأسباب تافهة في أكثر الأحيان،مادّة جيدة.

كما ساعدهم في ذلك وجود أهل الكتاب معهم، وخاصة فيما يتعلق ببدء الخليقة، وبعض أخبار الأمم الماضية[٢].

٥ـ التاريخ وظهور الإسلام.

كان لظهور الإسلام أثر كبير وواضح لدفع عجلة التاريخ وعلم التاريخ إلى الأمام[٣]، وذلك لعدة أسباب وأهمها:

القرآن الكريم:

للقرآن الكريم دور كبير وأثر واضح في ترسيم معالم علم التاريخ حيث أن المتمعن في القرآن

---

(١) الدوري: عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٠م ص ١٣-١٤، ينظر كذلك جب: دراسات في حضارة الإسلام ص ٢٩٤، وقد أنكر مرجليوث، وطه حسين استعمال الكتابة في شمالي الجزيرة العربية قبل الإسلام بالكلية، ينظر بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي وآخرون، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ١/ ٦٤.

(٢) ينظر بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، الطبعة السابعة - بيروت ١٩٧٧م ٢/ ٢٨، جب: دراسات في حضارة الإسلام ص ١٤٤-١٤٦، شاكر مصطفى: المصدر السابق ١/ ٦٠، جواد علي: موارد تاريخ الطبري مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد (١) الجزء الأول سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٥٠م ١/ ١٤٣، ١٤٤، العدوي: إبراهيم أحمد: التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية، الشركة المتحدة - القاهرة ١٩٧٧م ص ٦٤ - ٧١، الكاشف: سيدة إسماعيل: مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٧٦م ص ١٢.

(٣) ينظر جرجي زيدان: المصدر السابق ٣/ ٩٧.

obeikandl.com

الكريم يجد أن (المسألة التاريخية) تشغل مساحة واسعة فيه، بل لا تكاد تجد سورة من سور القرآن الكريم خالية من عرض لواقعة تاريخية، أو أشارة سريعة لحدث ما أو تأكيد على قانون أو سنة تتشكل بموجبها حركة التاريخ[١].

تعرض القرآن الكريم لتجارب عدد من الجماعات البشرية، كما بين السنن الكونية التاريخية التي تحكم حركة الجماعات عبر الزمان والمكان، والتي لا تتغير ولا تتبدل ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٢].

كما دعا القرآن الكريم إلى تفحص التاريخ والاتعاظ به، وإن جانباً كبيراً منه ينصب على إخطار البشرية بالنذير الإلهي ومما يحيط بالمسيرة الإنسانية في حاضرها ومستقبلها من أوضاع وعما تتطلبه من شروط[٢].

إن القرآن الكريم جاء بنظريات جديدة تتعلق بالكون والحياة وإن نظريته وفلسفته (إن صح التعبير) تؤكد على عالمية التاريخ حيث أنه أعطى تصوراً واضحاً وكاملاً وشاملاً للكون والحياة منذ بدأ الخلق وإلى يوم القيامة.

وهذه الفكرة تتمثل في توالي النبوات، وهي في الأساس رسالة واحدة بشر بها الأنبياء جميعهم من آدم إلى خاتم النبيين محمد ﷺ وهي: الوحدة في العقيدة وإن كانت الشرائع تختلف.

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى: ١٣].

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [المائدة: ٤٨].

وذكر القرآن الكريم كيفية خلق السموات والأرض، وخلق آدم ومراحل خلقه وكيفيته، وما خُلِق منه[٣]، كما ربط بين المبدأ والمنتهى بحلقات الأنبياء، وأعطى لمبدأ الخلق بشكل عام صورة لا تقل عنها وضوحاً صورة الآخرة، وجعل ما بين الطرفين فترة عبور.

وذكر القرآن الكريم ذكريات العرب الماضية، وذكر حوادث الأمم والشعوب السابقة،

---

(١) ينظر الدباغ: أديب إبراهيم: حركة التاريخ بين النسبي والمطلق، مطبعة الزهراء - الموصل ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ص ١٢، عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، الطبعة الرابعة، شركة آسيا - نينوى ١٩٨٦م ص ٥.

(٢) ينظر عماد الدين خليل: المصدر نفسه ص ٧.

(٣) ينظر على سبيل المثال: سورة الحجر: آية/ ٢٦، سورة الرحمن: آية/ ٤.

وذلك بهدف العبرة والاتعاظ منها، عن طريق القصص الهادفة، وهي تشكل مادة تاريخية هامة، إلا أن الرغبة في تفصيل ما ذكره القرآن الكريم من هذه القصص والأخبار، فتحت باباً من أبواب المعرفة الدينية دخل فيه التاريخ، وإن كان الكثير من الإسرائيليات قد دخلت عن هذا الطريق إلى التاريخ الإسلامي كما دخله الكثير من الأخبار القبلية والأجنبية[١].

الرسالة الإسلامية:

إن كون الرسول ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، يقتضي ذلك معرفة تاريخ الرسالة، وسيرة الرسول، كما يقتضي دراسة أحوال الأنبياء والرّسل السابقين، وأنواع رسالاتهم وأخبار أقوامهم، ومن تبع واستجاب منهم دعوتهم، ومن رفضها.

وبهذا فقد توسع مجال التاريخ الإسلامي واتصل بالتاريخ العام.

"وأصبحت هذه الدراسة مقدمة لدراسة تاريخ الرّسول والرّسالة أو السيرة كما يقال لها عند العلماء، ويمكن أن يقال عنها: أنها بداية السير ولذلك قيل لها: (المبتدأ) أو (المبدأ) وتبدأ بتاريخ آدم في العادة ثم تستمر إلى أن تصل إلى السيرة التي تبتدئ بالنسب أي نسب الرسول ﷺ.

ثم صار العرف أن يلحق بالسيرة قسم آخر يمكن أن يقال له: (المغازي)، وهو القسم الثالث والخاتمة.

لقد دل هذا الربط بين السيرة وتاريخ العالم منذ الخليقة إلى المبعث على تطور مهم جدا في الفكرة التاريخية وفي المفهوم التاريخي"[٢].

التطور الثقافي والفتوحات:

إن التطور الثقافي العام الذي حصل بفضل الإسلام، جعل علم التاريخ يتقدم يوماً بعد يوم، حيث إن علم التاريخ وصلته بعلم الحديث والأدب من جانب، وتكوين الحضارة الإسلامية والتصادم بين الآراء والتيارات الحضارية، وتطور الأمة وخبراتها من جانب آخر، أدت إلى الكتابة التاريخية[٣].

---

(١) ينظر شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ٥١، ٦٠، الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص١٨.

(٢) (موارد تاريخ الطبري) مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٥١.

(٣) ينظر الدوري: المصدر السابق ص ١٣.

obeikandl.com

"ويؤخذ من استعراض التطورات السالفة أن الحدث البارز فيها هو: أن الأمة الإسلامية، قد اكتسبت النزعة التاريخية..... ولا مراء في أن الحجج التاريخية الواردة في القرآن الكريم، والزهو الذي ابتعثته الفتوح الإسلامية الواسعة، والمنافسات بين قبائل العرب، كل أولئك قد ساعدت على خلق تلك النزعة"[١].

"وكان الباعث الأقوى على تدوين أخبار الفتوح رغبة ولاة الأمور في معرفة ما فتح من البلدان صلحاً، وما فتح عنوة، وما فتح بعهد، لأن لكل حكماً خاصاً، من حيث الجزية والخراج، فلما دون ذلك كله، وجد إلى جانب السير، نوع آخر من الرواية التاريخية، موضوعه؛ أخبار الماضين، وأحوال الجاهلية، وحوادث الإسلام، وقد أطلقوا على ذلك كله لفظ (الأخبار) وعلى المتخصص في روايته (الأخباري)"[٢].

مادة التفسير والأدب والشعر:

ومن أسباب نشأة التاريخ مادة التفسير والأدب والشعر، فمادة التفسير أثرت على نماء التاريخ وتطوره، حيث أن تفسير بعض تلك الأحداث كانت تتعلق بمادة ما قبل الإسلام (المبدأ) وبطبيعة الحال هذه المادة كانت مجملة في القرآن. فلجأ بعض المفسرين إلى إدخال بعض المواد (من أهل الكتاب) لتوضيح تلك المادة المجملة[٣].

وكذلك دراسات الأدب والشعر واللغة والنحو والبلاغة كلها أدت بشكل أو بآخر إلى حفظ الكثير من الأخبار والأحداث المتعلقة بذلك الشعر أو بمفردات اللغة أو الأدب، وتكونت من حصيلة تلك الأخبار المادة التاريخية الأولية، التي خدمت المؤرخين خدمة عامة وكذلك البحوث عن الكلمات الغريبة، أو الأمثال، أو اللهجات ودراسة الأمكنة والقبائل، والأيام والرجال وغيرها[٤].

---

(١) جب:علم التاريخ ص ٦٤، وينظر كذلك: دائرة المعارف الإسلامية ٩/ ١٣٠.

(٢) هرنشو:علم التاريخ ص ٣٧.

(٣) ينظر جواد علي: المصدر السابق ١/ ١٥٠، كولد تسهير: المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن، ترجمة علي حسن عبد القادر: الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٤٤م ص ٥٥-٥٦.

(٤) ينظر شاكر مصطفى: المصدر السابق ١/ ٦٦، جواد علي: المصدر السابق ١/ ١٤٩.

أمة الإسلام ضرورة تاريخية:

يضيف المستشرق: جب عاملا آخر من عوامل كتابة التاريخ فيقول[١]:

"ففي مذاهب أهل السنة أن الأمة الإسلامية - أي أُمّةُ الله - هي التي يرتبط بها استمرار النظام الإلهي على الأرض، لذا كانت دراسة تاريخ هذه الأمة تكملة ضرورية لدراسة الوحي الإلهي في القرآن والحديث"[٢].

اهتمام المسلمين بالتاريخ:

إنّ اهتمام المسلمين بالتاريخ نابع من اهتمامهم بدينهم وعقيدتهم حيث لا يمكن للمسلم أن يفهم كثيراً من أحكام دينه وشرعه إلا بمعرفة التاريخ وعن طريقه.

فالقرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين في الحياة لا يمكن فهمه إلا بالتاريخ، حيث من المعلوم أن القرآن الكريم، أنزل منجماً[٣] على رسول الله ﷺ خلال (٢٣) سنة، فمعرفة السور المكية والمدنية، وترتيب الآيات والسور، وكذلك الناسخ من المنسوخ..... وبالتالي الحلال والحرام، متوقف ذلك تماماً إلى معرفة التاريخ.

---

(١) وهناك عوامل أخرى مثل مذاكرة الصحابة والتابعين لأخبار ما سبقهم - وطلبهم الآثار والأخبار وذلك يؤدي بدوره إلى الحصول على مادة تاريخية هامة، ينظر: أبو شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٥م) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٧م ١/ ٢٢-٢٣.

وقد لخص بعضهم العوامل الأولى لظهور التاريخ في الإسلام إلى:

١- تاريخية الإسلام.

٢- الحاجة الفكرية.

٣- الحاجات العملية الحياتية.

٤- العوامل المساعدة.

٥- ميل بعض الخلفاء كمعاوية والمنصور إلى الإطلاع على سياسات الملوك وأعمالهم.

٦- حرص البعض من دخل الإسلام (من غير العرب) من أهل الحضارات الأخرى على التنويه بمجد بلادهم القديم. ينظر: شاكر مصطفى: المصدر السابق ١/ ٥٧، ٦٠، ٦٢، ٦٤، هرنشو: المصدر السابق ص ٣٧، جرجي زيدان: المصدر السابق ٣/ ٩٧-٩٨.

(٢) علم التاريخ ص ٦٥، وينظر كذلك: دراسات في حضارة الإسلام ص ١٨٥ -١٨٦.

(٣) أي مفرقاً.

"بالتاريخ عرف الناس أمر حجهم وصومهم وانقضاء عدد نساءهم ومحل ديونهم"[١].

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ الآية [البقرة: ١٨٩].

ومن أجل ذلك ألف المسلمون كثيراً من الكتب التاريخية المتعلقة بتاريخ القرآن الكريم، ككتب تاريخ القرآن الكريم، وكتب أسباب النزول، وكتب الناسخ والمنسوخ.... الخ[٢].

وما يقال في القرآن الكريم يقال في السنة المطهرة، حيث أنها المصدر الثاني للتشريع عند المسلمين[٣].

فألفوا أيضاً في تاريخ السنة المشرفة، والناسخ والمنسوخ منها، وأسباب ورود الحديث؛ كتباً كثيرة[٤].

وربما يعود السبب الآخر في اهتمام المسلمين بالتاريخ هو معرفة سيرة رسول الله ﷺ منذ نشأته، إلى مبعثه، وإلى وفاته[٥]، كما كانوا مهتمين بمعرفة كل ما يتعلق برسولهم، من صفاته وأخلاقه وشيمه وشمائله[٦] وكيفية تلقيه الوحي، وكيفية صلاته، وصيامه، وحجه، وأمره مع

---

(١) العصفري: خليفة بن خياط بن أبي هبيرة (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق الدكتور اكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى، مطبعة الآداب - النجف ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م ١/ ٥.

(٢) ينظر: على سبيل المثال: السيوطي لباب النقول في أسباب النزول، مكتبة المشهد الحسيني - القاهرة (مطبوع مع تفسير ابن عباس)، الاكليل في استنباط التنزيل، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ابن حزم: علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) كتاب في معرفة الناسخ والمنسوخ، مكتبة المشهد الحسيني - القاهرة (مطبوع مع تفسير ابن عباس)، ابن الجوزي: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) نواسخ القرآن، مطابع: يوسف بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) ابن جزي: محمد بن أحمد بن محمد (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) تقريب الوصول إلى علم الأصول، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة الخلود- بغداد ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ص ١٢.

(٤) ينظر: مثلا الحازمي: محمد بن موسى (ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٤٦هـ.

(٥) ومن هذا يظهر خطأ تحليل العبادي بأن الباعث الأقوى في تدوين التاريخ، كان وراء المال: الجزية والخراج.

(٦) ينظر على سبيل المثال: ابن الجوزي: الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة - مصر ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مطبعة خليل، الاستانة ١٢٩٠هـ.

قومه ومعاركه وغزواته[١]، ومعرفة أصحابه، وصفاتهم وأخبارهم[٢] مما يطول ذكره.

ومن علامات اهتمام المسلمين بالتاريخ، وتميز الحضارة الإسلامية بالنزعة التاريخية الواضحة، هو ظهور حوالي خمسة آلاف مؤرخ على الأقل فيها.

وكذلك ما يزيد على عشرة إلى اثني عشر ألف كتاب تاريخ لديها، وبعض هذه الكتب في خمسين، وثمانين، ومائة، مجلد[٣].

وهذا يعد بحق من أضخم التراث التاريخي الإنساني.

وقد أدى هذا الاهتمام في النهاية لوضع الخطوط الأولى لمنهجية وفلسفة التاريخ لدى المسلمين كما حصل ذلك على يد ابن خلدون[٤].

يقول أحد الباحثين المعاصرين[٥]:

"والمسلمون ألفوا في التاريخ كتبا لا تحصى، وما من أمّة قبل العصر الحديث بلغت في هذا العلم ما بلغ إليه المسلمون".

ومن أسباب اهتمامهم بالتاريخ معرفة أخبار الأمم الماضية، وذلك من أجل الاتعاظ والتذكرة والعبرة، لذلك كانت المؤلفات الأولى يتوسع فيها بذكر أخبار الأرض، من هبوط آدم، وقصص الأنبياء، وأحوال القيامة.... الخ[٦].

وألف فيه بعضهم من أجل المتعة حيث اعتبروه من أحسن العلوم وأشهاها، فألف فيه فحول المؤرخين كتباً، أعطوها عناوين مختلفة، تدل على محتوياتها[٧].

---

(١) ينظر على سبيل المثال: كتاب الواقدي: المغازي.

(٢) مثل: كتب تراجم الصحابة وقد استخدمنا عددا منها في هذه الرسالة.

(٣) ينظر: ابن النديم: محمد بن إسحاق (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) الفهرست، دار المعرفة - بيروت ص١٣١-١٦٧، حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٢٧١-٣٣٤، شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ٧.

(٤) يعد الفيلسوف الإنجليزي فلنت R. flint (ت ١٩١٠م) ابن خلدون واضع علم التاريخ. ينظر: هورنشو: علم التاريخ ص ٣٢، شاكر مصطفى: المصدر السابق ١/ ٧.

(٥) تاريخ التمدن الإسلامي ٣/ ١٠٩، ينظر كذلك لوبون:غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الرابعة، البابي الحلبي ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م ص ٤٥٣.

(٦) ينظر السيوطي: الشماريخ في علم التاريخ، ص١٠، السخاوي: الإعلان بالتوبيخ ص ٧، ١٥-١٦، ٢١.

(٧) ينظر مثلا، حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٢٧١-٣٣٤، ماجد: مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي ص٣٧- ٣٨.

أول من دون التاريخ في الإسلام وأسباب تدوينه:

يقول المؤرخ: الجبرتي:

"وأول واضع له في الإسلام عمر بن الخطاب وذلك حين كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندري على أيها نعمل فقد قرأنا صكا محله شعبان فما ندري أي الشعبانين أهو الماضي أم القابل ؟.

وقيل: رفع لعمر صك محله شعبان فقال: أي شعبان هذا هو الذي نحن فيه أو الذي هو آت؟

ثم جمع وجوه الصحابة ﷺ وقال: إن الأموال قد كثرت وما قسمناه غير مؤقت فكيف التوصل إلى ما يضبط به ذلك؟.

فقال له الهرمزان[1] وهو ملك الأهواز - وقد أسر عند فتوح فارس وحمل إلى عمر وأسلم على يديه - : إن للعجم حسابا يسمونه: ماه روز، ويسندونه إلى من غلب عليهم الأكاسرة فعرّبوا لفظة: ماه روز، بيمورخ، ومصدره التاريخ واستعملوه في وجوه التصريف ثم شرح لهم الهرمزان كيفية استعمال ذلك فقال لهم عمر:

"ضعوا للناس تاريخا يتعاملون عليه وتصير أوقاتهم فيما يتعاطونه من المعاملات مضبوطة، فقال له بعض من حضر من مسلمي اليهود:

أن لنا حسابا مثله مسندا إلى الإسكندر فما ارتضاه الآخرون لما فيه من الطول".

وقال قوم: نكتب على تاريخ الفرس، قيل: أن تواريخهم غير مسندة إلى مبدأ معين بل كلما قام منهم ملك ابتدأوا التاريخ من لدن قيامه وطرحوا ما قبله.

فاتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الإسلام من لدن هجرة النبي ﷺ لأن وقت الهجرة لم

---

(١) الهرمزان بضم أوله وثالثه وسكون الراء ثم زاي وهو اسم لبعض أكابر الفرس، وهو دهقانهم الأصغر. والهرمزان رجل من رجال فارس مخضرم من الثانية أسلم على يد عمر قبل نهاوند وأذربيجان وأصبهان وفارس، كان متهما هو وأبو لؤلؤة المجوسي بقتل أمير المؤمنين عمر ﷺ.

"خرج أبو لؤلؤة على وجه يريد البقيع وطعن في طريقه اثنى عشر رجلاً فخرج خلفه عبيد الله بن عمر فرأى أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة وكان نصرانيا وهو يتناجون بالبقيع فسقط منهم خنجر له رأسان ونصابه في وسطه فقتل عبيد الله أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة ثلاثتهم ". ينظر البخاري: التاريخ الصغير ١/ ٨٠، ابن حبان: الثقات ٢/ ٢٤٠، النووي: تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٦٨٤ (٦٤٤) ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٥٧١ (٧٢٧٥).

يختلف فيه أحد بخلاف وقت ولادته ووقت مبعثه ﷺ.

وفن التاريخ علم يندرج فيه علوم كثيرة لولاه ما ثبتت أصولها ولا تشعبت فروعها منها:

طبقات القراء والمفسرين والمحدثين وسير الصحابة، والتابعين وطبقات المجتهدين وطبقات النجاة والحكماء والأطباء وأخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأخبار المغازي وحكايات الصالحين ومسامرة الملوك من القصص والأخبار والمواعظ والعبر والأمثال وغرائب الأقاليم وعجائب البلدان.

ومنها: كتب المحاضرات ومفاكهة الخلفاء وسلوان المطاع ومحاضرات الراغب.

وأما الكتب المصنفة فيه: فكثيرة جدا ذكر منها في مفتاح السعادة: ألفا وثلثمائة كتاب.

قال في ترتيب العلوم:

" وهذا بحسب إدراكه واستقصائه وإلا فهي تزيد على ذلك لأنه ما ألف في فن من الفنون مثل ما ألف في التواريخ وذلك لانجذاب الطبع إليها والتطلع إلى أمور المغيبات ولكثرة رغبة السلاطين لزيادة اعتنائهم بحسب التطلع على سير من تقدمهم من الملوك مع ما لهم من الأحوال والسياسات وغير ذلك "[(١)].

السيرة وبداية التدوين التاريخي:

إن تدوين العلوم عند المسلمين بدأ في وقت مبكر، والسنة النبوية كان لها سبق الشرف بالتدوين - بعد كتابة القرآن الكريم - لما كان لها من أهمية كبرى في حياة المسلمين، عقيدة، ونظاماً، وأحكاماً وأخلاقاً.

لا شك أن جُلّ اهتمام المسلمين بعد الكتاب والسنة، كان منصبّاً على سيرة نبيهم ﷺ حيث أنه نبي القدوة، والمعلم والقائد وأن سيرته العطرة ﷺ تتعلق بجميع جوانب حياة المسلمين، من حركية وسياسية، وعسكرية وشخصية وفقهية وروحية، وواقعية وغيبية، وعقدية وحضارية[(٢)]، ثم أنه مصدر القدوة الحسنة، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، التي يقتفي أثرها المسلم، ومنبع الشريعة العظيمة

---

(١) تاريخ عجائب الآثار ١/ ٦، ٩، ١٠، بتصرف.

(٢) ينظر عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، الطبعة السابعة، مطبعة الزهراء - الموصل ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م ص ٦. دروزة: محمد عزت، سيرة الرسول صورة مقتبسة من القرآن الكريم، الطبعة الثانية، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٩٦٥م ١/ ٢٥- ٢٦.

التي يدين بها، وهذا يقتضي منه متابعة المراحل خطوة خطوة، لكي يكون على بينة وبصيرة من أمره[١].

إن بداية التدوين التاريخي عند المسلمين بدأت بدراسة سيرة النبي ﷺ ومغازيه[٢] وأعمال الصحابة، والدولة الإسلامية التي أقامها النبي ﷺ في المدينة، وأخبار الغزوات والجهاد، وأخبار هجرة المسلمين إلى الحبشة والمدينة، وكان الاعتماد فيه في بادئ الأمر على الرواية الشفهية كالحديث، فالحديث دراية ورواية، والتاريخ كذلك دراية ورواية، وقد أشترك العلمان في المصادر والمنهج حيث أن كلا العلمين يعتمدان على الإسناد[٣].

"وأصبحت هذه الدراسة، لدراسة تاريخ الرسول والرسالة، أو السيرة، ولذلك قيل لها (المبتدأ) أو (المبدأ) وتبدأ بتاريخ آدم في العادة ثم تستمر إلى أن تصل إلى السيرة التي تبتدئ بالنسب أي نسب الرسول ﷺ. ثم صار العرف أن يلحق بالسيرة قسم آخر يمكن أن يقال له (المغازي) وهو القسم الثالث والخاتمة".

لقد دل هذا الربط بين السيرة وتاريخ العالم منذ الخليقة إلى المبعث على تطور مهم جداً في الفكرة التاريخية وفي المفهوم التاريخي دل على شعور المؤرخين بأن التاريخ العربي صفحة من صفحات كثيرة مطوية، تكون منها التاريخ العالمي، وأن هذا التاريخ لا يمكن، أن يبقى بمعزل عن تاريخ الشعوب الأخرى"[٤].

- إن السيرة النبوية كغيرها من العلوم عانت في بداية أمرها نوعاً من أنواع انعدام وجود سنن مرسومة، أو منهجية معينة في التدوين، لكن هذه المعالم والسنن والمنهجية بدأت تظهر عند

---

(١) ينظر الغزالي: محمد الغزالي، فقه السيرة، مطبعة دار الكتاب العربي - مصر ص ٤ - ٥، الغضبان: منير محمد، المنهج الحركي للسيرة النبوية، الطبعة الثالثة - مكتبة المنار - الزرقاء ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ١/ ١٠، ١٤.

(٢) السيرة مرادفة للمغازي، ولو أن الأخيرة تعني لغوياً، غزوات الرسول وحروبه، لكنها تناولت في الحقيقة فترة الرسالة بكاملها، ينظر: الدوري بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٢٠، عبد العزيز كامل: سيرة النبي، مجلة العربي العدد ٢٣٢، وزارة الإعلام الكويتية، ربيع الأول ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م. ص ٢٥، الخطيب: محمد عجاج: السنة قبل التدوين، الطبعة الثانية، دار الفكر - القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ص ٣٨٠.

(٣) ينظر جب: دراسات في حضارة الإسلام ص ١٤٧، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٣/ ٨، الدوري: المصدر السابق ص ٢٠، الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه ص ٢٥.

(٤) جواد علي: مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٥١ (مصدر سابق).

ابن إسحاق[١]، والواقدي[٢]، وابن سعد[٣]، وأصبحت فناً واضح المعالم، مستقلاً عن سائر الفنون التاريخية التي نشأت معه[٤].

لقد ذهب بعضهم[٥] إلى أن هذا التطور قد حصل قبل هؤلاء وأنه حصل على يد أبان بن عثمان بن عفان[٦] (ت ٩٥-١٠٥هـ/ ٧١٣-٧٢٣م) حيث يمثل مرحلة انتقال بين دراسة التاريخ ودراسة المغازي.

"لم يكن قبل ابن إسحاق منهج كامل، وإنما يجمع بعضهم رسالة في غزوة معينة أو خبر

---

(١) محمد بن إسحاق بن يسار، أمير المؤمنين في السيرة، ثقة روى له مسلم وأهل السنن، تكلم فيه بغير حق (ت ١٥٠هـ) على الصحيح ينظر: الخطيب: أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي - بيروت ١/ ٢١٤ - ٢٣٤، ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت ٤/ ٢٧٦ - ٢٧٧ (٦١٢)، الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار المعرفة - بيروت ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م ٣/ ٤٦٨ - ٤٧٥ (٧١٩٧)، ابن حجر: تهذيب التهذيب، الطبعة الأولى، دار المعارف الهندية - حيدر آباد الدكن ١٣٢٦هـ ٩/ ٣٨ - ٤٦ (٥١).

(٢) محمد بن عمر بن واقد السهمي أحد كبار المؤرخين القدامى متفق على ترك حديثه (ت ٢٠٧هـ): ينظر الخطيب: المصدر السابق ٣/ ٣ - ٢١ (٩٣٩)، الذهبي: تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي (مصور عن طبعة حيدر آباد - الدكن ١٩٥٦م) ١/ ٣٤٨ (٣٣٤)، ابن حجر العسقلاني: تقريب التهذيب، الطبعة الثانية، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ٢/ ١٩٤ (٥٦٧).

(٣) محمد بن سعد بن منيع عرف بكاتب الواقدي، أحد الثقات العدول من المؤرخين (ت ٢٣٠هـ) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٥/ ٣٢١ - ٣٢٢ (٢٨٤٤)، ابن حجر:تهذيب التهذيب ٩/ ١٨٢ - ١٨٣ (٢٧٣)

(٤) ينظر: هورفتس:يوسف هورفتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م ص‌هـ (التصدير).

(٥) ينظر الدوري:بحث في نشأة علم التاريخ ص ٢١.

(٦) ثقة من كبار التابعين وحديثه في مسلم وهو من شيوخ أبي الزناد والزهري لكن لا يوجد له ذكر في كتب السير كابن إسحاق، الواقدي، وابن سعد، ينظر ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٩٧، النووي:تهذيب الأسماء واللغات، طبعة مصر ص١١١ وقد يختلط أسمه بأبان بن عثمان البجلي الشيعي، وقد ألف هذا كتاباً في (المبتدأ والمبحث والمغازي) وورد ذكره في طبقات ابن سعد، ينظر: ابن سعد: محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) الطبقات الكبرى، دار بيروت ودار صادر - بيروت ١٩٥٨م ٤/ ٢٩، ٥/ ١٥٦، ١٨٥، وينظر كذلك: ابن أبي جرادة:كمال الدين عمر بن أحمد؛ المعروف بابن العديم (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق:سهيل زكار، ط١، دار الفكر - بيروت ١٩٨٨م ٤/ ٢٠٠٩، هورفتس: المصدر السابق ص ٥.

خاص، ومنهم من يقتصر على المغازي ومنهم من توسع بذكر المبعث[١] والوحي كما أن بعضهم ذكر ما لاقاه النبي من المشركين في مكة، وهناك من جمع الهجرة معها، وكيف كانت، وتطرق بعضهم إلى ما قبل المبعث والرسالات السابقة وقصص الأنبياء وكان بعض هؤلاء المؤرخين يلتزم إسناد الأخبار إلى أصحابها الذين تضاف إليهم، وبعضهم يترك الإسناد أحياناً فلما جاء ابن إسحاق - وكان من كبار علماء المسلمين - وضع المنهج الكامل للسيرة في كتابه الخالد[٢] وهو يعد بحق أمير المؤمنين في السيرة، الذي يعتبر رأس التأليف في هذا النوع من التاريخ، ومضى على آثاره الواقدي، وابن سعد فيما كتب من سيرة النبي". [٣]

الفرق بين كتب الحديث وكتب السير:

على الرغم من أن العنصر الرئيسي في كلا مادتي كتب الحديث وكتب التاريخ، هو: الإسناد والرواية. لكن هناك بعض الفروق بينهما منها:

إن كتب الحديث والروايات الحديثية تقرر أحكاماً ومبادئ عقدية، أو فقهية، أو خلقية، بينما روايات السيرة تتجه إلى سرد الحوادث وذكرها، دون التعرض إلى قضايا الأحكام[٤].

ومنها: إن كتب الحديث، ترتبُّ على حسب الموضوعات (كما في المصنفات التي منها الكتب الستة)[٥]، أو على حسب أسماء الصحابة الذين ترفع لهم الأحاديث (كما في كتب المسانيد، كمسند أحمد بن حنبل) مثلا.

أما كتب السير: فتورد الروايات مرتبة على السنين بحسب وقوع الحوادث التي تشير إليها الأحاديث[٦].

---

(١) ينظر على سبيل المثال، محمد بن إسحاق: سيرة ابن إسحاق (المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي)، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب- الرباط.

(٢) وهو كتابه: المغازي.

(٣) هورفتس: المصدر السابق ص و- ز، الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص ٢٦ - ٢٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٥.

(٥) وهي: صحيحا البخاري ومسلم، والسنن الأربعة (أبو داود، ابن ماجة، الترمذي، النسائي).

(٦) ينظر هورفتس: المصدر السابق ص ١، يقول جرونيباوم وهو يصف دقة أهل الحديث: (ومعايير الضبط ومراقبة الضمير الحي عندهم على سمو يبعث الدهشة)، ينظر جرونيباوم: جوستاف. أ. فون، حضارة الإسلام، ترجمة عبد العزيز توفيق، دار مصر للطباعة ص ٣٥٦.

ومنها: إن أئمة الحديث اتخذوا أقصى درجات العناية والحذر في الإسناد في كتبهم، أما أئمة السير، فلم يصلوا إلى هذه المرتبة من النقد والتحقيق عما ارتضاه أئمة الحديث لرواياتهم ومن هناك كانت منزلة كتب المغازي والسير أقل منزلة من كتب الحديث[١].

كتابة السيرة بشكل رسمي:

من المؤكد أن السيرة النبوية، قد مرت بمراحل عديدة قبل أن تدّون بشكل غير رسمي أو رسمي.

نشأت السيرة في بادئ الأمر في مجالس خاصة، كانت تحكى فيها مغازي رسول الله ﷺ، فيسأل أحد الخلفاء، أو الولاة[٢] في إحدى حواضر الإسلام الكبرى كالمدينة المنورة، والكوفة، ودمشق، وبغداد، وغيرها، أحد العلماء المتضلعين بسيرة رسول الله، فيسأله عن غزواته، متى كانت، ومن حضر، ومن استشهد منهم، وعن عددهم، فيحدّث العالم بذلك مما سمعه وما حفظه من أسلافه من الصحابة والتابعين من أقرانه[٣].

تقدمت السيرة خطوة فخطوة حتى وصلت أو قطعت شوطا من مراحل تدوينها، إذ دون بعض كبار التابعين الحفاظ، السيرة لأول مرة، وكان على رأس هؤلاء:

---

(١) ينظر عبد العزيز كامل: مجلة العربي الكويتي ص ٢٥ لعل أن بعض السبب الذي أدى ببعض اليهود والنصارى، رد معطيات السيرة النبوية إلى أصول نصرانية أو يهودية، مثل (كيتاني)، و(منتغمري وات) و(كولد زيهر) وغيرهم تمسك هؤلاء بالدرجة الأولى ببعض الروايات الإسرائيلية الموجودة في تلك الكتب، والاستعانة بالشاذ والغريب من الروايات. ولو كانت متأخرة، أو كانت من النوع الذي أستغربه النقدة، وأشاروا إلى نشوزه، تعمدوا ذلك لإثارة الشكوك حول بعض أحداث السيرة - النبوية وقد تصدى بشكل وافٍ لمواقف هؤلاء المستشرقين مجموعة من العلماء ينظر: جواد علي: تاريخ العرب في الإسلام، الطبعة الأولى، دار الحداثة - بيروت ١٩٨٣م ١/ ٨-١١، ٩٥، عماد الدين خليل: دراسة في السيرة ص ١١ - ٣٤، المستشرقون والسيرة النبوية، مناهج المستشرقين، مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ١/ ١٣٦ - ١٤٧، صالح أحمد العلي: محاضرات في تاريخ العرب، الطبعة الثالثة، مطبعة الإرشاد - بغداد ١٩٦٤م ١/ ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٢) وكذلك في المجالس العامة لأن الناس كانوا متشوقين إلى سماع تلك الأخبار.

(٣) ينظر: الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل، الطبعة الرابعة، دار المعارف - القاهرة ٢/ ٣١ (ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ) ابن سعد: طبقات ٥/ ١٦٧، ١٧٤.

أبان بن عثمان بن عفان، وعروة بن الزبير[١]، ولذا يمكن عدهما من مؤسسي السيرة الأوائل في الإسلام[٢].

ثم توالت الكتابة في السيرة فكان من بين مؤلفيها:

وهب بن منبه[٣] (ت ١١٠هـ/ ٧٢٨م)، وعاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠هـ/ ٧٣٧م)، وشرحبيل بن سعد (ت ١٢٣هـ/ ٧٤٠م)، وابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ/ ٧٤١م)، ثم عبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت ١٣٠- ١٣٥هـ/ ٧٤٧- ٧٥٢م) ومن تلاميذ الزهري وأعظمهم شأناً- محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ/ ٧٦١م)[٤].

يظهر من بعض الإشارات الواردة في تاريخ الطبري[٥] فيما يرويه هشام[٦] عن أبيه عروة بن الزبير، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان.

ويبدو بالتأمل في تلك الكتابات، أن عبد الملك بن مروان: هو الذي كان يسأل عروة أن يكتب له في تلك المسائل والأخبار وكان هو يجيبه[٧].

---

(١) بن العوام: أحد الفقهاء السبعة في المدينة، أحد كرماء بني آدم (ثقة ت ٩٣هـ) ينظر: أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) حلية الأولياء، المكتبة السلفية ٢/ ١٧٦ - ١٨٣ (١٧١)، ابن خلكان:وفيات الأعيان ٣/ ٢٥٥ - ٢٥٨ (٤١٦) ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ١٩ (١٥٧).

(٢) ينظر الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص ٢٠-٢٢. يظهر من بعض الإشارات

(٣) هو أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل الصنعاني، من خيار علماء التابعين، ثقة اخرج له الشيخان وأصحاب السنن إلا ابن ماجه (ت ١١٠هـ) ينظر العصفري: خليفة بن خياط أبو عمر الليثي: الطبقات، تحقيق: د.أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ٢٨٧، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٠ - ١٠١ (٩٣)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٤١٩.

(٤) ينظر هورفتس: المغازي الأولى ومؤلفوها ص (و)، الدوري: المصدر السابق ص ٢٠-٢٧، وينظر كذلك أسماء ما ألف من كتب السير والمغازي، الكتاني: محمد بن جعفر(ت ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، الطبعة الثالثة، دار الفكر - دمشق ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م ص ١٠٥ - ١١٠.

(٥) ينظر: تاريخ الأمم والملوك ١/ ٥٤٦، ٢/ ٢٠، ١٥٨، ٢١٢ (ط١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ).

(٦) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، أحد أئمة الحديث من التابعين، ثقة فقيه (ت ١٤٦هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/ ٣٧ - ٤٢ (٧٣٨٣)، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦/ ٨٠ - ٨٢ (٧٨١)، ابن حجر: تقريب التهذيب: ٢/ ٣١٩ (٩٢).

(٧) ينظر الطبري: المصدر السابق ٢/ ٣١ (ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ)، هور فتس: المصدر السابق ص ٢١، جب: دراسات في حضارة الإسلام ص ٨٣.

"وتمثل كتابات عروة المذكورة هنا، أقدم المدونات التي حفظت لنا عن حوادث خاصة في حياة النبي ﷺ كما تمثل أقدم نصوص النثر التاريخي العربي، وعلى الرغم من أننا لا نجد في أي مرجع قديم، أن عروة ألف كتاباً حقيقياً عن المغازي فإننا واثقون أنه جمع وأخرج مجموعة أحاديث عن أهم الحوادث في حياة النبي ﷺ"(١).

تبين مما مر أن بداية التدوين الرسمي للسيرة النبوية كانت في عهد عبد الملك بن مروان، وهو الأشبه والأقرب، لأمور منها:

١- الأسباب التي ذكرناها لتدوين السيرة(٢).

٢- أن السيرة النبوية، لم تكن كحديث رسول الله ﷺ حتى يخافوا من تدوينها خوفاً من اختلاطها مع القرآن الكريم لذلك لا يستبعد من أن يكون المسلمون قد فكروا في تدوينها في وقت مبكر، دون خوف، ولا نرى مناسباً تأجيل تدوين السيرة إلى عهد المنصور كما يذهب إلى ذلك بعض المؤرخين(٣).

---

(١) هورفتس: المصدر السابق ص ٢٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ٧، وينظر كذلك:مصطفى شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ٨٣ يذهب بعض الباحثين ويقطع بأن التدوين التاريخي الرسمي كان في عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ينظر مصطفى شاكر: المصدر السابق ١/ ٧٩، الطبري: المصدر السابق ٤/ ٢٠٩-٢١٠.

(٣) ينظر ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) المعارف، تصحيح محمد إسماعيل الصاوي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ص ٢١٥، الخطيب: تاريخ بغداد ١/ ٢٢١، ابن خلكان: المصدر السابق ٤/ ٢٧٧ (٦١٢)، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من السلطان الأكبر، مطبعة مؤسسة الاعلمي - بيروت ١ / ٤.

قال الخطيب: أخبرنا الأزهري، قال نبأنا عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال سمعت حامداً أبا علي الهروي يقول سمعت الحسن بن محمد المؤدب قال سمعت عماراً يقول دخل محمد ين إسحاق علي المهدي وبين يديه أبنه قال له: أتعرف هذا ياأبن إسحاق؟ قال: نعم هذا ابن أمير المؤمنين.

قال: أذهب فصنف له كتاباً منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى يومك هذا. قال: فذهب فصنف له هذا الكتاب، ينظر: تاريخ بغداد ١/ ٢٢١، ثم يستخدم الخطيب البغدادي خبرته في معرفة علل الأخبار لتصحيح هذا الخبر، وقد بينا ذلك بأنه فن من فنون علم العلل فيقول: هكذا قال الراوي، دخل ابن إسحاق على المهدي وبين يديه أبنه، وفي ذلك عندي نظر، ولعله أراد أن يقول دخل على المنصور وبين يديه المهدي أبنه لأن ذلك أشبه بالصواب. ينظر: المصدر نفسه ١/ ٢٢١.

٣- الحديث النبوي قد تأكد تدوينه بشكل رسمي في زمن عبد الملك بن مروان[١] فبطريق الأولى أن تكون السيرة كذلك دونت في عهده، أو قبله.

الانتقال من عالم الحديث والسير إلى عالم التاريخ العام:

يعدّ بن إسحاق[٢] بداية نقطة انتقالية من عَالَمِ السير والمغازي إلى عَالَمِ التاريخ الأعم، حيث

---

(١) ينظر الدوري: العصر العباسي الأول-دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، مكتبة الانجلو مصرية - القاهرة ١٩٧٣م ص ٤٦، عبد القادر: علي حسن، نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، الطبعة الثانية، مطبعة العلوم - مصر ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م ص ١١٣.

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار وقيل بن كوتان المديني، أمير المؤمنين وأحد الأئمة الأعلام في السير والمغازي، صاحب كتاب المغازي توفي على أصح الأقوال (١٥٠- ١٥٢هـ) ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ١/ ٢١٤-٢٣٤، ابن النديم: الفهرست ص١٣٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ٢٣٦-٢٧٧(٦١٢)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٨-٤٧٥(٧١٩٧) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٣٨-٤٦(٥١).

قد أتهم بعض أصحاب الجرح والتعديل، وكتب التاريخ هذا الأمام الجليل ببعض التهم الباطلة، والتي قد سببت بعض الشكوك والأشكال حول شخصية هذا العالم أولاً ثم في رواياته ثانياً.

ونحن نذكر هنا هذه التهم ثم نأتي إلى مناقشتها تهمة فقد اتهم ابن إسحاق:

١- مغازلة النساء.

٢- التشيع والقدر.

٣- الوضع في الأخبار والأشعار.

رد التهمة الأولى بأوجه:

منها أننا بحثنا في أقدم المصادر التاريخية وكتب التراجم والتي هي اختصاص هذه الأخبار - لم نجد أحداً منهم أشار ولو ببنت شفه إلى هذا الخبر.

وخلو أقرب وأقدم المصادر من هذا الخبر دليل على وضع هذا الخبر من مقبل المتأخرين، فخليفة ابن خياط، واليعقوبي، وابن قيبة الدينوري، والطبري، والمسعودي لم يذكروا شيئاً من ذلك، في مدوناتهم، فالطبري مثلا: لم يذكر حتى وفاته، واخر خبر فيه ذكر بن إسحاق (بصفة راوية) سنة (٥٤هـ) وهو استخدام معاوية عبيد الله بن زياد والياً على خراسان.

ينظر: خليفة بن خياط ينظر: تاريخ خليفة بن خياط ٢/ ٤٥٤، كتاب الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى، مطبعة العاني - بغداد ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م ص ٢٧١، ابن قتيبة: المعارف ص ٢١٥ (ط الثانية ١٩٧٠م)، اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر؛ المعروف بأن واضح (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) تاريخ اليعقوبي، دار الفكر - بيروت ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م ٣/ ١١٢-١١٣، تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٢٩٦، المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) التنبيه والأشراف، دار التراث - بيروت ==

==

١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ص ٢٩٦-٢٩٧، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، الطبعة الأولى، دار القلم - بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩م ٣/ ٢٨٥.

ومنها: أن الخبر روي بصيغة (يحكى) للتضعيف، قال ابن النديم صاحب الفهرست: يحكى أن أمير المدينة رقي إليه أن محمداً يغازل النساء، فأمر بإحضاره..) فيقال لأبن النديم: من الذي حكى؟ وما اسم أمير المدينة الذي ضرب بن إسحاق؟.

أليس - كما يدعي المخبر- أن الحدث كان في مسجد رسول الله وهذا الأمر يوجب علينا أن نقول: إذا لا بد أن يكون هذا الخبر خبراً مشهوراً، بل متواتراً، لأنه وقع أمام أهل المسجد، وهو المسجد النبوي ﷺ، وعدد المصلين لا يقل من مئات أو آلاف، في ذلك العهد، إذ لم ينقل أحد منهم هذا الخبر مع ذكر اسمه ؟

ثم لم انفرد به ابن النديم- الذي هو نفسه مجهول لا يعرف عنه الكثير، يقول مقدم كتاب الفهرست بعد أن ينقل ترجمته عن ابن النجار، وياقوت الحموي في معجم الأدباء - الوحيدان اللذان اعطيا رؤوس نقاط عنه وعن كتابه -:

"هذا كل ما ذكره ياقوت، ولا تعرف من هذه الترجمة متى كان مولده ولا في أي قطر كان - وكيف كانت حياته، وما نوع العلوم التي تعلمها، وعمن اخذ، ومتى توفي..... ".

ينظر: مقدمة الفهرست ص أ-ب.

ومنها: تفهم من الترجمة المقتضبة له في (معجم الأدباء) أنه كان ورّاقاً وكان يتشيع وهي تهمة ليست بأقل من جهالته، وجهالة كتابه، عند أئمة الحديث، والتراجم، والتاريخ، ثم من هو ابن النديم حتى يتهم أحد أئمة المسلمين ؟.

والقاعدة القرآنية في نقل الخبر صريحة في عدم قبول نقل مثل هؤلاء في هؤلاء الأئمة الأعلام من علماء المسلمين.

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات: ٦].

ومنها: كما ذكرنا أنه مجهول الحال-وقد يكون مجهول العين أيضاً ! كما أن كلام مثل بن النديم، يرفض في مثل بن إسحاق، (لكونه حتى ولو عرف عينه وحاله)، أنه ليس من أهل الجرح والتعديل، ينظر لذلك ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٤٥ وينظر لزيادة الاطمئنان كتب الاختصاص الذين ترجموا لأبن إسحاق، وقد نقلوا كل شاردة وواردة حوله، ولم يذكر أحد منهم هذه التهمة ينظر على سبيل المثال الخطيب: تاريخ بغداد ١/ ٢١٤-٢٣٤، ابن خلكان: المصدر السابق ٤/ ٢٧٦-٢٧٧، الياقوت: معجم الأدباء، دار المشرق - بيروت ١٨/ ٥، ابن سيد الناس:فتح الدين، محمد بن محمد (ت ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، الطبعة الثانية، دار الجيل ١٩٧٤م ١/ ١٠-١٧، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٢-١٧٤، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٨-٤٧٥، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الاعلام، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام التدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م (حوادث سنة١٤١-١٦٠هـ) ص ٥٨٨-٥٩٤، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٣٨-٤٦، تقريب التهذيب ٢/ ١٤٤.

==

==

التهمة الثانية: رميه بالقدر والتشيع، وهذه التهمة ترد لأنها لم ترد بأي رواية مقبولة، ولم يأت أحد المتهمين له منهم بصيغة أقوى من الصيغة السابقة (وهي قيل)، يقول الذهبي: وقيل: كان قدرياً ينظر:تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٣، وينظر كذلك ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٩، تاريخ الإسلام(حوادث ١٤١-١٦٠) ص ٥٩٢، تاريخ بغداد ١/ ٢٢٤، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢. وكل هذه الصيغ صيغ تضعيف. لا يعول عليها عند نقاد الحديث ونقاد التاريخ.

ثانياً: جميع هؤلاء الذين نقلنا عنهم هذه التهمة، ذكروا روايات أقوى في نفي هذه التهمة عنه.

ينظر الخطيب: المصدر السابق ١/ ٢٢٥-٢٢٦، الذهبي المصادر السابقة؛ تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٣، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٩، تاريخ الإسلام ص ٥٩٣، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢. يقول عبد العزيز الدوري عن تهمة التشيع والقدر:

لكن هذا يتطلب الأدلة لإثباته ينظر:بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٢٩.

ثالثاً: عند أبعد الاحتمالات، لو نفرض جدلاً أن ابن إسحاق كان فيه شيء من التشيع والقدر، فهذا الشيء اليسير من التشيع والقدر لا يمنعنا أن نأخذ برواياته، كما هو مقرر في كتب الاختصاص، ينظر بن هشام: السيرة ١/ س، ابن سيد الناس:عيون الأثر ١/ ١٣.

أما التهمة الثالثة: رميه بوضع الاخبار، الذي عليه جلة أهل العلم بالجرح والتعديل أن ذلك جاءه عن طريق الأمام مالك، وهشام بن عروة.

أما ما يتعلق بمالك قيل كان من أجل منافرة بينهما، وكان ذلك مرة واحدة ثم عادله إلى ما يحب. وحينما أراد ابن إسحاق السفر إلى العراق أعطاه مالك عند الوداع خمسين ديناراً ذكر ذلك ابن حيان في الثقات.

وفيما يتعلق باتهام هشام بن عروة له، لأنه كان قد روى عن زوجته فاطمة بنت المنذر، وقد قال هشام:

أدخلت علي - وما رآها رجل حتى لقيت الله تعالى - ورد على ذلك أئمة النقد فقالوا:

إنكار هشام بارد فلعله سمع منها في المسجد، أو سمع منها وهو صبي أو دخل عليها فحدثته من وراء حجاب، فأي شيء في هذا؟ وقد كانت امرأة قد كبرت وأسنت.

ينظر: المصادر السابقة بصفحاتها.. ويشكك ابن حجر أصل خبر المنافرة بين الأمام مالك وبن إسحاق، كما أن الكوثري قد استبعد ذلك وقال: لا أظن أن يكون ذلك صحيحاً، لأن أئمة الدين يجب أن يكونوا أنزه لساناً وجناناً من أن ينزلوا إلى هذه الدركة، ينظر بن حجر: المصدر السابق ٩/ ٤١، والكوثري: محمد زاهد بن حسن (ت ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) حسن التقاضي في سيرة الأمام أبي يوسف القاضي، مطبعة الأنوار ١٣٦٨هـ ص ٤١.

ولو قبلنا جرح مالك وهشام في بن إسحاق، وصححنا ذلك (ولو جدلاً) لقلنا أن قاعدة المعاصرة، تمنعنا أن نصدق هذه التهم كما بينا ذلك في المعاصرة.

روى الخطيب بسنده عن أبي زرعة:

"ومحمد بن إسحاق قد اجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ منه. فمنهم سفيان، وشعبة، وأبن عينية،

==

يبدو ذلك جلياً في نظريته التاريخية وأسلوبه، فقد جمع بين أساليب المحدثين والقصاصين وجمع كثيراً من الروايات التاريخية، والإسرائيليات، والقصص الشعبي مع كثير من الشعر الصحيح والموضوع، وحين ننتقل إلى بن إسحاق نُحّسُ أيضاً، بأننا قد انتقلنا من عالم الحديث إلى عالم التاريخ[١].

ومن أساليب بن إسحاق رواية الخبر عن كتاب لعدة مؤلفين ولكن ذلك لا يعرف إلا بالتدقيق.

==

وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وبن المبارك، وإبراهيم بن سعد وروى عنه من الأكابر: يزيد بن أبي حبيب، وقد أختبره أهل الحديث فرأوا صدقاً وخيراً، مع مدح بن شهاب له": تاريخ بغداد ١/ ٢٢٤، وقال ابن عدي: "قد فتشت أحاديث ابن إسحاق الكثيرة لم أجد في أحاديثه ما يتهيأ أن يقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ أو وهم كما يخطئ غيره، ولم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة، وهو لا بأس به".

ينظر الذهبي:ميزان الاعتدال ٣/ ٤٧٤، وقال الذهبي: فالذي يظهر لي أن بن إسحاق حسن الحديث، صالح الحال صدوق وما انفرد به ففيه نكارة، فإن في حفظه شيئاً. وقد احتج به أئمة فالله اعلم. ينظر: المصدر نفسه ٣/ ٤٧٥.

وقد وثقه البخاري ومسلم، وخرج مسلم له في باب الرجم حديثاً كما قد استشهد له بخمسة أحاديث في صحيحه، وعلق له البخاري. ينظر: ميزان الاعتدال ١/ ٤٧٥، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٥، وفيات الأعيان ٤/ ٢٧٧ وقد دافع عنه جمع من المتقدمين والمتأخرين وبشكل وافٍ فمن المتقدمين ينظر: تاريخ بغداد ١/ ٢٦١-٢٦٢، عيون الأثر ١/ ١٠-١٧ وقد دافع عنه دفاعاً علمياً جيداً، كما دافع عنه الذهبي ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٣، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٨-٤٧٥، تاريخ الإسلام- (حوادث ١٤١-١٦٠) ص٥٨٨-٥٩٤، بن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٣٨-٤٦، والكوثري: حسن التقاضي في سيرة الأمام أبي يوسف القاضي ص ٤١. ومحققوا سيرة ابن هشام ١/م-ع، موافي:عثمان موافي:منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوربي، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٨٤م ص ١٩٨-٢٠٤.

لكن من المؤكد أنه رحمه الله قد روى عن أهل الكتاب خاصة فيما يتعلق بالمبتدأ-أخبار الجاهلية والأمم الأخرى قبل الإسلام-وكثيراً من الشعر الموضوع، والعهدة عنده على الراوي، كما أنه تساهل في بعض الأخبار التي لا تتعلق بالأحكام الشرعية ومن أجل ذلك قد انهالت عليه السهام من كل مكان.

ينظر المصادر السابقة، ابن النديم: الفهرست ص ١٣٦، الحموي:شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، معجم البلدان، دار صادر - بيروت ٢/ ٤٠٠، معجم الأدباء ٦/ ٤٠٠، الجمحي: محمد بن سلام (ت ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) طبقات فحول الشعراء، شرح محمود محمد شاكر، طبعة مصر ١٩٥٢م ٤ /١، الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٢٧-٣٠ جب:علم التاريخ ص ٥٦-٥٧، هورفتس: المغازي الأولى ومؤلفوها ص ٧٩-٩١.

(١) ينظر الدوري: المصدر السابق ص ٢٧-٢٨، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٣٧٩-٣٨٠.

يقول فؤاد سزكين[١]:

"لو دققنا في أسانيد بن إسحاق لوجدنا أنه يستخدم في رواية بعض الأحداث كغزوة الخندق مثلاً كتاباً لعدة مؤلفين لا يقل عددهم عن سبعة وصفهم بأنهم (علمائنا) وبعضهم من المؤلفين المعروفين، ولكن نصفهم غير معروف".

ويأتي بعد ابن إسحاق محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م) حيث يعتبر ما قام به من التدوين، عملاً تكميلياً لأعمال ابن إسحاق، فقد كان لا يدع أحداً من أبناء الصحابة، ولا مولى لهم، إلا وسألهم عما شاهدوه وما سمعوه من الأحداث التاريخية، كما أنه اطلع على المدونات والروايات التي جمعها سابقوه من أهل السير والمغازي، وقد كان لا يقتصر على النقل من الرواة فقط، وإنما ينتقل بنفسه إلى أماكن مغازي الرسول ﷺ، فإذا كان قد فات بن إسحاق ذكر تواريخ الأحداث، فإن الواقدي لم يفته ذلك، لذا يُعدُّ، أول من رتب التاريخ حسب السنين، وقد أفاد الطبري منه كثيراً[٢].

اهتم الواقدي أيضاً بقضايا التاريخ الإسلامي المهمة، وألف مؤلفات مثل الردة، ويوم الدار، وصفين، والجمل، وفتوح الشام، والعراق، وله مجموعة أخرى من الكتب التاريخية، وأهمها كتاب (التاريخ الكبير) الذي تناول فيه - كما يبدو - تاريخ الخلفاء حتى سنة (١٧٩هـ/ ٧٩٥م)[٣].

يأتي بعد الواقدي؛ محمد بن سعد المعروف بكاتب الواقدي (ت٢٣٠/ ٨٤٤م) وقد تناول كتابه الرائع (الطبقات الكبرى) أحداث عصر النبي ﷺ والصحابة، والتابعين، حتى عام (٢٣٠هـ).

كان ابن سعد أدق من سابقيه في تفاصيل الأخبار، كما أنه يعطي مجموعة أكثر وأوفى من

---

(١) سزكين: فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ترجمة فهمي أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر- القاهرة ١٩٧٠م ١/ ٢٤٩.

(٢) ينظر عجاج الخطيب: المصدر السابق ص ٣٨٠، أحمد أمين: ضحى الإسلام ٢/ ٢٣٧، عثمان موافي: منهج النقد التاريخ الإسلامي ص٢٠٨.

(٣) ينظر ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٧/ ٥٨، الدوري: بحوث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٢٣١، هورفتس: المغازي الأولى ومؤلفوها ص ١١٥-١١٦، يظهر أن أقدم كتاب يحمل اسم علم التاريخ في الإسلام، هو (كتاب التاريخ) الذي يتناول أحداث التاريخ الإسلامي في القرن الأول الهجري، وهو لعوانه بن الحكم الأخباري (ت ١٤٧هـ-٧٦٥م) ينظر الخلاف حول هذا الموضوع: روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين ص ٢٤، شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ٥١، ومن المعلوم أن مؤلفات الأخباريين الأولين لم تصلنا، وكل الذي وصلنا مقتطفات عن طريق المؤرخين فيما بعد مثل الدنيوري، واليعقوبي، والبلاذري، والطبري وغيرهم. ينظر جب: علم التاريخ ص ٦٥، الدوري: المصدر السابق ص ٣٤.

الوثائق لحدث معين، وأنه ذهب أبعد ممن سبقوه في التنظيم والتبويب، وقلما يوجد قول دون الإشارة إلى المرجع الذي أخذ عنه[١].

وكتاب الطبقات أدق بكثير من الكتب التي كتبت قبله وبعده في نقل الأخبار، وهو معجم كبير، ويعد أيضاً حلقة متواصلة بين علم الحديث، وبين الرواية التاريخية، وله مميزات كثيرة مما يجعله مصدراً ذا أهمية كبيرة في حياة المسلمين[٢].

يأتي بعد ابن سعد خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) وهو محدِّث نسّابَة، عارف بأيام الناس، غزير الفضل[٣]، له كتابان:

الطبقات:

وهو كتاب صغير الحجم لو قُورِنَ بطبقات ابن سعد المعاصر له، لكن مركّز في دراسته، دقيق في بحثه ومعلوماته[٤]، ويلقي ضوءا على التوجه الفكري وأسلوب البحث العلمي في عصره[٥].

يمثل هذا الكتاب وكتاب ابن سعد دراسة شاملة لمركز علوم الحديث في القرنين الأولين ومطلع القرن الثالث الهجري[٦].

والغاية من كتب الطبقات هي: خدمة علم الحديث، لتمييز؛ طبقات الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم ممن له العلاقة بسند الحديث. فهي وسيلة لمعرفة ما في السند من إرسال أو انقطاع، أو إعضال، أو تدليس، وبمعرفة الطبقات يمكن التفريق بين الأسماء؛ المتشابهة، أو المتفقة، والمختلفة، حتى لا يقع الإشكال أو يلتبس الأمر في نقد الرجال[٧].

---

(١) ينظر هورفتس: المصدر السابق ١٢٦-١٣٠، جب: المصدر السابق ٥٨، جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي ٣/ ١٠٠-١٠٢، الدوري: المصدر السابق ٣٢.

(٢) ينظر عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي ص ٢١٤، الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص ٣٢.

(٣) ينظر ابن خلكان: الوفيات ٢/ ٢٤٣، ابن كثير: أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) البداية والنهاية، الطبعة الخامسة، مكتبة المعارف - بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م ١٠/ ٣٢٢.

(٤) ينظر خليفة بن خياط: الطبقات ص ١١ (المقدمة).

(٥) ينظر خليفة بن خياط: المصدر السابق ص ١١.

(٦) ينظر فوزي: فاروق عمر، خليفة بن خياط مؤرخا، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية - بغداد ١٩٨٨م ص٢٠-٢١.

(٧) ينظر جرونيباوم: حضارة الإسلام ص ٣٥٢، فوزي: المصدر السابق ص ٢١، خليفة بن خياط: المصدر السابق ص ١٠-١١.

وكتاب الطبقات أقدم كتاب كامل في علم الرجال وصلنا، يتضمن نحو (٣٣٧٥) ترجمة من الرجال والنساء ممن يقتبس منهم[١].

من مميزات هذا الكتاب:

- يذكر أسماء تراجم لا نجدها في طبقات ابن سعد[٢].
- يروي بعض الأحاديث دون سند[٣].
- هو بمستوى كتابه في التاريخ من الأهمية لدراسة الأحكام الإسلامية والثقافة والمجتمع[٤].
- يقتصر خليفة في تراجمه على ذكر نسب الرجل لأبيه وأمه ويرجع بالأنساب إلى ما قبل الإسلام[٥].
- تأكيده على الأنساب في جيل الصحابة والتابعين ثم يتلاشى في الطبقات المتأخرة[٦].
- بعد اختلاط أنساب العرب بغيرهم بعد جيل الصحابة - خاصة - تبرز النسبة إلى المدن والمهن[٧].

تنظيم الكتاب أُسّس على :

أ- التنظيم على النسب.

ب- التنظيم على الطبقات.

ج- التنظيم على المدن[٨].

وكتابه في التاريخ: هو من أقدم كتب الحوليات في التاريخ الإسلامي.

---

(١) ينظر شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ٢٣٦، العمري: كتاب الطبقات ص ١٤٧ (الأطروحة).

(٢) ينظر فوزي: المصدر السابق ص ٢٣.

(٣) ينظر خليفة بن خياط: الطبقات ص ١٠٩.

(٤) ينظر فوزي: المصدر السابق ص ٣٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ٣٠.

(٦) ينظر خليفة: المصدر السابق ص ٦٤ (المقدمة).

(٧) ينظر: المصدر نفسه ص ٣٠.

(٨) ينظر: المصدر نفسه ص ١١، ٣٢ (المقدمة).

obeikandl.com

يبدأ المؤلف بتعريف كلمة التاريخ، ثم يتناول الأحداث التاريخية من السنة الأولى للهجرة إلى السنة (٢٣٢هـ) [١] أي خلافة الواثق بالله العباسي [٢].

ويهتم خليفة بن خياط بالتاريخ الإسلامي فقط، فهو يختلف عن الطبري أو اليعقوبي في البدء بذكر بدأ الخليقة، أو بتاريخ العرب قبل الإسلام، وإنما يبدأ التاريخ عنده بالهجرة؛ أي بمعنى آخر: بالإسلام، وليس قبله، ويبدو أن هذا هو منهج عنده [٣].

يتوسع بالأخبار من عهد بني أمية ثم يزداد اختصارا كلما تقدم خاصة في العصر العباسي حتى نجده يلخص أخبار ثلاث سنوات أحياناً في الصفحة الواحدة [٤].

وفيما يتعلق بتطبيق منهج أهل الحديث في التاريخ، شدد في الإسناد والمتن في الفترة المتعلقة بحياة النبي ﷺ وكذلك اهتم بالإسناد فيما يتعلق بالأحداث المتعلقة بالخلافة الراشدة وفيما يتعلق أيضاً بالعهد الأموي بشكل عام وفترة عبد الملك بن مروان بشكل خاص [٥].

يقلل من استخدام الإسناد في أخبار العهد العباسي، بصورة ملحوظة حتى لا تعثر لرواية سنة واحدة أو عدة سنين على سند واحد [٦].

وقد أورد بعض الأخبار بدون إسناد، يشك في أمرها، ربما كانت يد الشعوبية وأتباع المجوس من المتشيّعة تغلغت فيها كما في إحداث سنة (٣٠هـ) [٧].

---

(١) ينظر فوزي: خليفة بن خياط مؤرخا ص ٢٨، ٢٩.

(٢) هارون بن محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد، استخلف بعد أبيه المعتصم سنة ٢٢٧هـ (ت ٢٣٢هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/ ١٥ - ٢١ (٧٣٥١)، ابن كثير: التاريخ ١٠/ ٣٠٨ - ٣١٠.

(٣) ينظر فوزي: المصدر السابق ص ٣٠ - ٣١.

(٤) ينظر على سبيل المثال: تاريخ خليفة بن خياط ٢/ ٤٨٢، ٤٩١، ٤٩٢، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣.

(٥) ينظر شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ٢٣٥، فوزي: فاروق عمر: طبيعة الدعوة العباسية، الطبعة الأولى، دار الإرشاد -بيروت ١٩٧٠م ص ٢٥، دكسن: عبد الأمير عبد، الخلافة الأموية - بيروت ١٩٧٣م ص ٩٢٨.

(٦) ينظر مثلا خليفة بن خياط: المصدر السابق ٢/ ٤٣٥ (إحداث سنة ١٣٣)، ٢/ ٤٤٤ - ٤٤٨ (إحداث سنة ١٣٨ - ١٤٤).

(٧) ينظر: المصدر نفسه ١ / ١٧٤ - ١٧٥ (فتح طبرستان) وفي رواية أخرى من أهل حيزان بلدة في (ديار بكر).

ويستخدم خليفة - أحياناً- الإسناد الجمعي في بعض الأحداث[١].

لم يستخدم عبارات الجرح والتعديل لا في التاريخ ولا في الطبقات عدا مرتين في تاريخه[٢].

ومما يمتاز به تاريخه:

- يختار الصالح من الأخبار ويترك ما سواها[٣].
- أورد معلومات لا نجدها في بقية المصادر مثل إعطائه قوائم بأسماء الشهداء وأسماء قتلى المشركين[٤].
- اهتم بذكر جداول بأسماء الولاة والقضاة ومن كان على الشُرَطِ وبيت المال والدواوين وخزائن الأموال؛ أي قضايا الإدارة العامة في الدولة الإسلامية[٥].
- يولي الاهتمام الأكبر بالأحداث الحاسمة مثل مقتل عثمان بن عفان والحرب بين علي ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين وموقعة الحرة وحركات الخوارج[٦].
- يتحرى عن الروايات مع التروي في قبولها[٧].
- يدون أحياناً مجموعة من الروايات المتضاربة وذلك لمساعدة الباحث للتعرف على الصحيح منها[٨].

وممن له شان في هذا المجال هو الإمام: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) إمام الأئمة وشيخ المحدثين[٩].

---

(١) ينظر فوزي: خليفة بن خياط مؤرخا ص ١٧.

(٢) ينظر خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٥، ١١، ١٦، ٢/ ٤٥٦.

(٣) ينظر فوزي: طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٥، ٢٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٥، ٢٦، خليفة بن خياط مؤرخا ص ١٣.

(٥) ينظر فوزي: طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٥، خليفة بن خياط مؤرخا ص ١٣، شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ٢٣٥.

(٦) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٢٣٥، فوزي: طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٥ - ٢٦.

(٧) ينظر فوزي: خليفة بن خياط مؤرخا ص ٣٠.

(٨) ينظر مثلا: تاريخ خليفة بن خياط ١/ ٢٢٧ - ٢٤٤.

(٩) ينظر ترجمته: ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) كتاب الثقات في الصحابة

ويمكننا من خلال نظرة سريعة في كتابه التاريخ الكبير [١] مدى عنايته واستخدامه مناهج المحدثين، لنقد الروايات التاريخية سندا ومتنا.

يخالف البخاري بقية المؤرخين في تصنيف المرويات التاريخية فهو لم ينتهج منهج الحوليات كما سار عليها؛ خليفة بن خياط، والطبري، ولم يستخدم الطريقة الموضوعية التي سار عليها المسعودي، كما لم ينتهج طريقة؛ خليفة بن خياط وابن سعد في مصنفيهما في الطبقات، وإنما اتبع تدوين الأحداث وفق منهج علم الرجال[٢].

ألّف كتابه هذا مقابل قبر الرسول ﷺ في الليالي القمرية [٣] ويبلغ عدد تراجمه (١٢٩٨٩) إضافة إلى (١٠٠١) ترجمة من الكنى، ويبلغ العدد الكلي (١٣٩٩٠) ترجمة[٤].

هدف البخاري من تأليف هذا الكتاب:

- الاهتمام بتاريخ الصحابة وقضاياهم والتابعين ومروياتهم[٥].
- تقرير مواطن الرواة والمحدثين في البلدان الإسلامية.
- البحث عن الثقات والضعفاء والاهتمام برجال السند[٦].

والبخاري أول محدّث أراد أن يوجه الأنظار إلى أهمية المتون ونقدها [٧].

نظم كتابه على طريقة المحدثين وعلى حروف المعجم[١].

==

والتابعين وأتباع التابعين، تصحيح عبد الخالق الأفغاني، الطبعة الأولى - حيدر آباد ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ٩/ ١١٣، الخطيب: تاريخ بغداد ٢/ ٤ - ٣٤ (٤٤٤)، الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٥ - ٥٥٧ (٥٧٨)، سير أعلام النبلاء، تحقيق حسين الأسد، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ١٢/ ٣٩١.

(١) ينظر البخاري: التاريخ الكبير، إشراف عبد الرحمن معلمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن ١٣٦١ - ١٣٦٢هـ.

(٢) ينظر أحمد صالح مهدي: البخاري مؤرخا (رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة بغداد ١٩٩٨م) ص ٢٢٣.

(٣) ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ٢/ ٧، الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٥.

(٤) ينظر أحمد صالح: المصدر السابق ص ١٦٣.

(٥) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٢/ ٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٠٠.

(٦) ينظر أحمد صالح: المصدر السابق ص ١٥٩.

(٧) ينظر سزكين: تاريخ التراث العربي م ١ ج ١/ ٢٢١.

openkanal.com

ومما يمتاز به التاريخ الكبير:

- ذكر أحداث الخلافة الأموية.
- ذكر عددا كبيرا من ولاتها على الأمصار الإسلامية.
- ذكر باختصار بعض المهمات الإدارية والدينية [٢].
- ترجم للصحابة، والتابعين، وتابعيهم، ومن جاء بعدهم؛ من المحدثين، والفقهاء والقضاة وغيرهم [٣].
- اختار من المواد التاريخية ما يراه مناسبا مع اختصارها [٤].
- يذكر أحياناً أحداثا تاريخية متعددة في الترجمة الواحدة لا علاقة ببعضها البعض [٥].
- يذكر الروايات التاريخية على طريقة أهل الحديث فمثلا يقول:
  قال لي: فلان [٦]، حدثني فلان [٧]، وحدثنا [٨].
- يستخدم أحياناً الإسناد الجمعي لتأكيد صحة الخبر [٩].
- في حالات تأكّده من ثقة أسانيد بعض الأخبار أو لشهرتها لا يذكر أسماء مسندي الأخبار [١٠].

اهتمامه بنقد السند والمتن:

لاشك أن أئمة الحديث هم الرواد الأوائل لنقد الروايات التاريخية وذلك تمشيا وإكمالا وامتدادا لمنهجهم العلمي لنقد متون الأحاديث وأسانيدها.

---

(١) ينظر: التاريخ الكبير ج١ ق١/ ٥.
(٢) ينظر أحمد صالح: البخاري مؤرخا ص ٢٤٠.
(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٤٠.
(٤) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٢/ ٧.
(٥) ينظر البخاري: المصدر السابق ج١ ق٢/ ٢٣٦ (ترجمة جارود بن المعلى).
(٦) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق١/ ١١، ١٩.
(٧) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق١/ ١٧، ٨٩.
(٨) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق١/ ٢٣١.
(٩) ينظر: المصدر نفسه ج٢ ق١ / ١٥٩، وينظر كذلك: الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص ٢٤.
(١٠) ينظر: المصدر نفسه ج٢ ق٢/ ١٤٥، وج٢ ق١/ ٤٢٨.

obeikandl.com

إنّ اهتمام المحدثين بنقد الروايات التاريخية يختلف من شخص إلى آخر وكان نصيب الإمام البخاري في ذلك نصيباً كبيراً حيث شارك في النقد التاريخي وفق منهج أهل الحديث سنداً ومتناً[١].

فمن مظاهر اهتمامه بنقد السند: إبدائه جرحاً وتعديلا في عدد كبير من رجال الإسناد فمن ذلك على سبيل المثال يقول: حديث فلان ...مرسل[٢] وحديث فلان منقطع[٣] أو مضطرب الحديث[٤] أو ذاهب الحديث[٥] أو عنده مناكير[٦] أو في إسناده نظر[٧].

ومن مظاهر نقده للمتن: إيراده روايات مختلفة، بأسانيد متنوعة وهدفه إثبات صحة رواية معينة[٨].

مؤرخو ما بعد السيرة والمنهج:

إن الجهود التي بذلها أئمة السيرة والمغازي- وكذلك كتب الطبقات ومؤرخوا الفتوحات الإسلامية، وكتابات الإخباريين، والتي كانت بدايتها في عهد بني أمية آتت ثمارها بشكل واضح وجيد، وبشكل منهجي في عصر بني العباس حيث بدأ المؤرخون يكتبون في التاريخ العام وأحوال الأمم والبلاد[٩].

وقد بينا أن لأئمة السير والتاريخ منهجاً واضحاً وكاملاً وهو المنهج المتمثل بالإسناد.

---

(١) ينظر معروف: بشار عواد: الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٩٧٦م ص ٤٤٥.

(٢) ينظر: التاريخ الكبير ج١ ق١/ ٣٠، وج١ ق٢/ ١٧٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق٢/ ٥٨، ج١ ق٢/ ٣٥٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق١/ ٢٤٥، ج١ ق٢/ ٨٤.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق١/ ٢١٨.

(٦) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق١/ ٣١١.

(٧) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق١/ ٣١٧.

(٨) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق٢/ ٤٣، وينظر كذلك، أمثلة أخرى لنقد المتن: المصدر نفسه ج٤ ق٢/ ١٤٠، وج٢ ق١/ ٣١٩.

(٩) ينظر عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٢٧٨، الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص ٣٢، جب: علم التاريخ ص ٦٠-٦١. جواد علي: مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٤٣.

obeikandl.com

التاريخ ومنهج أهل الحديث:

إن المتتبع للتاريخ الإسلامي، وهو يدقق صفحاته، يجد أمامه ظاهرة بارزة وواضحة، وهي أن أغلب المؤرخين القدامى - إن لم يكن جميعهم على الإطلاق - كانوا من أصحاب الحديث، ويتبعون في منهجهم في تدوين الأخبار التاريخية ومعالجتها، أسلوب المحدثين، وهو: طريقة الإسناد، وظلت هذه الطريقة مرعية عندهم رعاية تامة إلى نهاية القرن الثالث[١].

بل إن هذه الطريقة ظلت مستمرة إلى عصر الخطيب البغدادي، أي القرن الخامس، حيث نجد أن تاريخ بغداد مكتوب بأسلوب المحدثين تماماً، وابن عساكر إلى نهاية القرن السادس الهجري[٢].

ومن المظاهر الواضحة التي نجدها في تاريخ تراث الإسلام، تأليف أغلب أئمة الحديث كتباً في التاريخ، سواء، تراجم، أو طبقات، أو تاريخ عام، ويظهر ذلك جلياً من إمام المحدثين، أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين والبخاري.... الخ من المتقدمين.

ومن المتأخرين: الذهبي، وابن حجر وغيرهم حيث قد ألف كل هؤلاء في التاريخ كتاباً أو أكثر[٣].

للمناهج التي كانت تدرس وتطبق في مدرسة المدينة، ومدرسة أهل العراق، تأثيراً واضحاً على أصحاب تلك المدرستين، فحينما نجد أن التدقيق والمحافظة والتشدّد في الرواية في مدرسة المدينة، نجد مقابلها شيئاً من التساهل والتسامح في الجانب العراقي، لذا كان التحذير مستمراً من قبل أهل المدينة لروايات العراقيين، لكن من المؤرخين من سلك مسلكاً وسطاً بين المنهجين مثل أبي الحسن المدائني، حيث أخذ الروايات العراقية وتناولها بأساليب أهل المدينة في النقد[٤].

إن هذا التشابه بين أهل الحديث والتاريخ، حدا ببعض المستشرقين المعنيين بكيفية نشوء علم التاريخ عند المسلمين، أن يقول: إن التاريخ وليد علم الحديث، وآخرين منهم القول: بأن التاريخ وليد علم السيرة والمغازي.

---

(١) ينظر جب: المصدر السابق ص ٦٤-٦٥، دراسات في حضارة الإسلام ص ١٤٧. جواد علي: المصدر السابق ١/ ١٥٧.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد واستعماله للإسناد في كل رواية، وكذلك: تاريخ دمشق.

(٣) ينظر: ترجمة هؤلاء الأئمة، في كتب التراجم، ومعاجم المؤلفين لكي تقف بنفسك على ذلك.

(٤) ينظر جواد علي: مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٥٤-١٥٧ (مصدر سابق).

وحجتهم في ذلك أن كتب الحديث قد دونت قبل كتب السير، كما أن كتب السير والمغازي قد دونت قبل التاريخ[١].

يحاول الدكتور جواد علي رد هذا التوجه، حيث يرى أن التاريخ كان قديماً، قدم الحديث، وأن كتباً ألفت في هذا الباب لكنها فقدت[٢].

سبق أن بيّنا ببعض الأدلة والبراهين بأن هذا التوجه - أي أن التاريخ وليد علم الحديث - هو التوجه الصحيح، وأن الأمة الإسلامية، قد أعطت الأولوية في تدوين علومها إلى الأهم، فالمهم، حيث: أولاً: القرآن ثمّ ثانياً: السنّة النبوية، وثالثاً: سيرة النبي ﷺ، ورابعا: التاريخ[٣].

متى اكتمل المنهج التاريخي عند المسلمين ؟

ذهب بعض الباحثين من المستشرقين ومن المسلمين إلى أن المنهج لم يبدأ ولم يتكامل إلا على يدي البلاذري أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

"إن بداية التأليف بمعناه الأعم أي التوفيق بين المواد المستمدة من السيرة، والرسائل المتقدمة الذكر، ومصادر أخرى، بغية إدماجها في رواية تاريخية متماسكة، إنما يرجع إلى منتصف القرن الثالث، وأقدم مؤلف سار على هذا النهج القديم هو البلاذري، وكتاباه: أنساب الإشراف، وفتوح البلدان، يشفان عن مزاج النقد في عصره على أكمل وجه"[٤].

استخدم البلاذري منهج الإسناد الجمعي لرواية الأخبار حيث يوضح ذلك في مقدمة كتابه (فتوح البلدان) ويقول:

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٥٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٥٧.

(٣) ويتفق مع هذا الرأي عبد الحميد العبادي ينظر: هرنشو: علم التاريخ ص ٤٣ (التاريخ عند العرب).

(٤) مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية ٩/ ١٣١، جب: علم التاريخ ص٦٦-٦٧ وينظر: Lichtentader 1. , "Arabic and Islamic Historiography "the moslem world 1954, p. 130.

مرجليوث: د. س. دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار، دار الثقافة - بيروت ص ١٣١ وقد أيد هذه الفكرة الدكتور عثمان موافي ينظر: منهج النقد التاريخي الإسلامي ص٢١٦ وكذلك الدكتور عبد الله فياض ينظر: التاريخ فكرة ومنهجاً ص ٢٥.

"أخبرني جماعة من أهل العلم بالحديث، والسيرة، وفتوح البلدان، سقت حديثهم، واختصرته، ورددت من بعضه على بعض"[١].

وهذا المنهج هو بعين ذاته المنهج الذي استخدمه ابن شهاب الزهري في رواية الأخبار قبل قرن أو أكثر من هذا الزمن قبل البلاذري، وهذا يؤكدّ لنا أن البلاذري قد أفاد من الطريقة والمنهج الذي كان يتبعه الزهري.

ومما يقال ومن الإنصاف؛ لم يكن البلاذري إمّعة في ذلك، إنما سلك نفس المنهج مع التطوير والتحديث فاستطاع أن يضيف إلى مصادر الحديث والسير عنصراً آخر وهو: الأمراء والجند، أي؛ أصحاب فتوح البلدان، الذين اشتركوا في فتح هذه البلاد، ويبدو أنه أخذ واقتبس من كتابات الزهري ورواياته، أخبار الفتوح، والبلدان المفتوحة، مما جعله يفوق على الزهري في جمع وتقييم الأخبار[٢].

إذا قلنا أن البلاذري هو بداية المنهج العلمي لدى مؤرخي المسلمين والتاريخ الإسلامي، فليس معناه هذا أنه أعتمد على ذكر مصادره حول حدث معين، وترك الإسناد (أي الفردي) جملة وتفصيلاً، حيث نجده يستعمل الإسناد، لكن درجة دقته في استعمال الإسناد تختلف باختلاف نوع الخبر الذي يرويه وأهميته، وباختلاف فترته الزمنية أيضاً.

فالأخبار تنقسم عنده إلى فترتين[٣]:

أ- أخبار الفتوح في عهد النبي ﷺ.

ب- أخبار الفتوح في عهد ما بعد النبي ﷺ.

وقد يتسم البلاذري بدقة أكثر فيما يتعلق بأخبار الفتوح في عصر النبي ﷺ ويستخدم الإسناد الذي ينتهي غالباً إما إلى الصحابي أو إلى التابعي.

يقول في (فدك)[٤]: "حدثنا سعيد بن سليمان [١]، عن الليث بن سعد[٢]، عن يحيى بن

---

(١) البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ ص ١٧.

(٢) ينظر عثمان موافي: المصدر السابق ٢١٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ٢١٧.

(٤) قرية بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة، ينظر الحموي: معجم البلدان ٤/ ٢٣٨ - ٢٤٠ (فدك).

سعيد[٣]، أن أهل فدك صالحوا رسول الله ﷺ على نصف أرضهم ونخلهم فلما أجلاهم عمر، بعث من أقام لهم حظهم من النخل والأرض...حدثني بكر بن الهيثم[٤] عن الزهري، أن عمر بن الخطاب أعطى أهل فدك قيمة نصف أرضهم ونخلهم[٥]".

أما ما يتعلق بأخبار الفتوح بعد عهد النبي ﷺ، فأننا نلحظ أيضاً استخدامه للإسناد كثيراً، ويسند الخبر إلى أحد رواة الفتوح كأبي مخنف، والهيثم بن عدي[٦].

يقول في فتح الأردن[٧]: "حدثني حفص بن عمر[٨] عن الهيثم بن عدي، افتتح شرحبيل بن حسنة[٩] الأردن ما خلا طبرية، فإن أهلها صالحوه على أنصاف منازلهم وكنائسهم".

---

(١) أبو عثمان، ثقة (ت ٢٢٥هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ٩/ ٨٤ -٨٧ (٤٦٦٤)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ٤٣ - ٤٤ (٦٩).

(٢) أبو الحارث الأصبهاني، شيخ الديار المصرية وعالمها، قيل كان افقه من مالك، ثقة ثبت (ت ١٦٨هـ)، ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٤ -٢٢٦ (٢١٠)، ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ١٣٨ (٨).

(٣) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري المدني أبو سعيد القاضي ثقة ثبت من الخامسة مات سنة أربع وأربعين أو بعدها. ينظر: النووي: تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٧١٢ (٦٨٢) ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٥٩١ (٧٥٥٩).

(٤) ينظر شيء عنه البلاذري: فتوح البلدان ٢٢، ٣٥، ٣٩، ٤٣، القزويني: عبد الكريم بن محمد الرافعي (ت ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م) التدوين في ذكر أخبار قزوين، تحقيق عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧م ص ٦١، ٦٨، ٨٤، ١١٢.

(٥) فتوح البلدان ص٤٢ (فدك).

(٦) الطائي، إخباري علامة، متروك الحديث، ليس بثقة (ت ٢٠٧هـ) ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ٣٢٤ - ٣٢٥ (٩٣١١).

(٧) فتوح البلدان ص ١٢٣ (الأردن).

(٨) حفص بن عمر بن عبد العزيز، صدوق، إمام (ت ٢٤٦هـ) ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٤١ - ٤٤٣، ابن عماد: عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/ ٦٧٩م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الطبعة الثانية، دار المسيرة - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ١/ ٤٨ وقد وهم في تاريخ وفاته.

(٩) هو شرحبيل بن عبد الله بن مطيع، ينسب إلى أمه حسنة، من قادة الفتوح الإسلامية في عهدي أبي بكر وعمر، فتح الأردن، وهو من السابقين الأولين من الصحابة، لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر: ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار العلوم الحديثة (مطبوع بهامش الإصابة) ٢/ ١٣٩-١٤١، العسقلاني:شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ ٢/ ١٤٣ (٣٨٦٩).

مؤرخون معاصرون للبلاذري:

مما سبق يتبين أن البلاذري حاول أن يبقى على العهد مع المحدثين في رواية الأخبار ما وجد إلى ذلك سبيلا، ولكن هناك سؤال يفرض نفسه الآن وهو هل أن كل المؤرخين المعاصرين للبلاذري سلكوا هذه الطريقة في نقل الأخبار؟ أم أن هناك عددا من المؤرخين لم يلتزموا بهذا المنهج وهو: الإسناد؟

أهم المؤرخين الأوائل والمعاصرين للبلاذري هم:

ابن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦هـ) وأبو حنيفة الدينوري (ت٢٨٢هـ) واليعقوبي توفي بحدود (٢٨٤هـ) [١].

على الرغم من أن ابن قتيبة أحد الأئمة المدافعين عن السنة، وقد ألّف في ذلك كتباً[٢]، لكنه لم يطبق منهج أهل الحديث تطبيقاً كاملاً في كتابه (المعارف) على الروايات، لكن بقي مع ذلك ملتزماً بالمنهج العلمي في نقل الأخبار.

فمثلاً إذا نقل خبراً عن فترة ما قبل الإسلام، ذكر على الغالب مصدره ولم يلتزم الإسناد، وربما لاعتقاده بأن الإسناد لا يُجدي في حق بعض الروايات التي أكل عليها الدهر وشرب، ولا يمكن جمع طرق السند بسهولة.

فمثلاً حينما يذكر خبراً عن بدأ الخليقة يقول [٣]:

"قرأت في أول سفر من التوراة، أول ما خلق الله تعالى من خليقة؛ السماء، والأرض".

وعند ذكر الأخبار النادرة والغريبة، حاول أن يستعمل الإسناد، وخاصة أخبار صدر الإسلام فمن ذلك يقول:

"حدثني زيد بن أخزم[٤] قال: حدثنا عبد الصمد[١]، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا

---

(١) ينظر جب: علم التاريخ ص ٦٩- ٧٠.

(٢) ينظر مثلا: تأويل مختلف الحديث.

(٣) ينظر ابن قتيبة: المعارف ص٦، ينظر كذلك: الكتاب المقدس، الطبعة الأولى، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ١٩٩٣م (سفر التكوين) ١/ ١.

(٤) زيد بن أخزم أبو طالب الطائي من أهل البصرة يروى عن أبى عاصم وأهل العراق حدثنا عنه بن خزيمة وغيره مستقيم الحديث مات بعد الخمسين والمائتين. ينظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤/ ١٧٩، ابن حبان: الثقات ٨/ ٢٥١ (١٣٢٨٤) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٢/ ٦١٣ (٣٨٣).

المغيرة[٢]، قال: سمعت سماك بن سلمة[٣] يقول: أول من سلم عليه بالإمرة، المغيرة بن شعبة[٤].

ويقول أيضاً[٥]: "حدثنا زيد بن أخزم قال: حدثنا كثير بن هشام[٦] عن فرات[٧] عن ميمون بن مهران[٨] قال: أول من مشت معه الرجال وهو راكب: الأشعب بن قيس[٩]".

وهكذا يتبين بأن ابن قتيبة لم يطبق قواعد أئمة الحديث على أخبار كتابه المعارف بصورة كاملة، إذ أهمل الإسناد في كثير منها، واستعاض عنه بالإشارة إلى مصادر أخباره[١٠].

---

(١) عبد الصمد بن النعمان البزاز النسائي، ثقة تكلم فيه (ت ٢١٦هـ) ينظر: الخطيب: المصدر السابق ١١/ ٣٩ -٤٠ (٥٧١٤)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٦٢١ (٥٠٧٩).

(٢) مغيرة بن مقسم، ثقة، إمام توفي بين (١٣٢-١٣٦هـ) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٤/ ١٦٥-١٦٦ (٨٧٢٣)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٦٩ -٢٧١ (٤٨٢).

(٣) سماك بن سلمة الضبي، وثقه أحمد، روى عنه ابن مقسم فقط، لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٢٣٤ (٣٥٤٩)، الخزرجي: صفي الدين أحمد بن عبد الله الأنصاري (ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الطبعة الثانية، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م (مصورة عن طبعة بولاق ١٣٠١هـ) ص ١٥٦.

(٤) ينظر المعارف ص ٢٩٤، وينظر كذلك: العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م) الأوائل، دار أمل، طنجة - المغرب ١٩٦٦م ص ١٩٥، ومغيرة بن شعبة صحابي جليل شهد بيعة الرضوان، واليمامة، والفتوحات الإسلامية (ت ٥٠هـ) ينظر: ابن قتيبة: المصدر السابق ص ١٢٨، ابن حجر: الإصابة ٣/ ٤٥٢ - ٤٥٣ (٨١٧٩).

(٥) ابن قتيبة: المصدر السابق ص ٢٤٠، وينظر كذلك: العسكري: المصدر السابق ص ٢١١ -٢١٢.

(٦) الكلابي أبو سهل، ثقة (ت ٢٠٨هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٢/ ٤٨٢ -٤٨٤ (٦٩٥٥)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٨/ ٤٢٩ -٤٣٠ (٧٦٩).

(٧) فرات بن السائب، أبو سليمان الجزري، ضعيف، متروك الحديث، لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر: النسائي: أحمد بن علي بن شعيب (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م) كتاب الضعفاء والمتروكين، تحقيق: بوران الضناوي وكمال الحوت، الطبعة الثانية، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ص١٩٧-١٩٨ (٥١٢)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٣٤١ -٣٤٢ (٦٦٨٩).

(٨) الجزري، أبو أيوب، الإمام، العابد، الزاهد، ولي على خراج الجزيرة لعمر بن عبد العزيز، ثقة (ت ١١٧هـ) ينظر: أبو نعيم: حلية الأولياء ٣/ ١٠٦ -١٠٨ (٢٢٠)، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٩٨ -٩٩ (٩١).

(٩) الأشعب بن قيس بن معد كرب، صحابي، نزيل الكوفة (ت ٤١هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ١٠٩ -١١١، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٨٠ (٦٠٨).

(١٠) عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي ص ٢٢٢.

يصف ابن قتيبة منهجه في مقدمة كتابه المعارف:

"وكتابي هذا يشتمل على فنون كثيرة من المعارف: أولها مبتدأ الخلق، وقصص الأنبياء؛ وأزمانهم إلى أن بلغت زمن المسيح، والفترة بعده، ثم أتبعته أخبار رسول الله ﷺ ثم الصحابة المشهورين، ثم الخلفاء من لدن معاوية بن أبي سفيان إلى أحمد بن المعتصم[١]...ثم التابعين، ومن بعدهم من حملة الحديث وأصحاب الرأي، ومن عرف منهم بالترفض، والتشيع، والأرجاء، والقدر، وأصحاب القراءات، والنسابين، وأصحاب الأخبار، ورواة الشعر، والغريب، وأصحاب النحو والمعلمين"[٢].

مشاركة أبو حنيفة الدينوري، ابن قتيبة في هذا المنهج في كتابه: الأخبار الطوال.

ينقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام زمنياً:

أ- بدأ الخليقة من آدم إلى أخبار بني إسرائيل، والعرب البائدة.

ب- خاص بتاريخ الفرس والأسكندر.

ج- يتعلق بحروب العرب مع العجم، والفتوحات الإسلامية من عهد عمر رضي الله عنه إلى عهد الخليفة المعتصم.

وهو كسابقه يشير إلى بعض المصادر التي أخذ منها الخبر، لكنه دون ابن قتيبة في الدّقة إلى الإشارة إلى المصدر، فمن أخبار بدأ الخليقة يقول - ولعله يشير إلى أهل الكتاب- [٣]:

"وجدت فيما كتب أهل العلم بالأخبار الأولى، أن آدم عليه السلام كان مسكنه الحرم".

كما أنه لا يستعمل الإسناد في أكثر الأحيان، وإنما يعزو الخبر إلى قائله، خاصّة في الأخبار قريبة العهد به، أو قريبة العهد بمصادرها، مثال ذلك قوله [٤]:

"قال الهيثم بن عدي: بويع لأبي العباس بالخلافة، ولأبي جعفر بولاية العهد من بعده في رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائة".

---

(١) الخليفة أحمد بن محمد بن المعتصم - المستعين بالله - (ت ٢٥٢هـ) ينظر: الخطيب: المصدر السابق ٥/ ٨٤ - ٨٦ (٢٤٧٨)، الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، وفؤاد السيد - الكويت ١٩٦٠ - ١٩٦٦م ١/ ٣٦٠ - ٣٦١.

(٢) ينظر: ص ٣.

(٣) الدينوري: أبو حنيفة، أحمد بن داود بن ونند (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر - القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م ١/ ٢.

(٤) المصدر نفسه ١/ ٣٧٠.

اليعقوبي ومنهجه في تدوين الأخبار:

يأتي بعد المؤرخين السابقين من حيث التسلسل الزمني؛ اليعقوبي، والذي هو قريب في منهجه مع أبي حنيفة الدينوري، مادة وموضوعاً، ومنهجاً.

قيل: إن تاريخه أول مؤلف يتناول التاريخ بمعناه العام منذ خلق آدم، حتى عصر المؤلف، وهو خلافة المعتمد بن عبد الله العباسي[١]، لكنه أقل مرتبة من كتاب الأخبار الطوال، وذلك:

أولا: لعدم استخدامه الإسناد[٢].

ثانياً: إن إشارته إلى مصادره غير دقيقة، بل غامضة في كثير من الأحيان[٣]، فمثلاً حين يذكر ملك الصين يقول[٤]:

"ذكرت الرواة، وأهل العلم ومن سار إلى بلاد الصين، وأقام بها الدهر الطويل، حتى فهم أمرهم وقرأ كتبهم، وعرف أخبار المتقدمين، ورأوه في كتبهم وسمعوه في أخبارهم، ومكتوب على أبواب مدنهم، وبيوت أصنامهم ومنقوش في الحجارة، إن أول ملوك الصين، صاين".

فالرجل يوهمنا هنا أنه سمع من أناس ذهبوا إلى الصين ورأوا كذا وكذا ولكن من هؤلاء؟ وما أسماؤهم؟ وما درجة صلتهم به، وبالأخبار التي نقلت عنهم ؟.

إنّ هذا يعرف في عرف المحدثين: بالتدليس .

وهكذا نجد أن المنهج الذي رسمه أهل التاريخ الإسلامي قد مر في فترة زمنية إلى نوع من الابتلاء، وهو: الخروج عن منهج المحدّثين في نقل الأخبار، حيث أن طبيعة هذا التاريخ تختلف عن طبيعة بقية تواريخ الأمم الأخرى لأنها تاريخ مرتبط أولاً وأخيراً بالعقيدة والشريعة.

لكن هذه الحالة الأستثنائية لم تدم طويلاً، حيث جاء الطبري، وأعاد لهذا المنهج سيرته الأولى، ومكانته في التاريخ الإسلامي، والتزم الدقة في تطبيق منهج الإسناد على الأخبار.

---

(١) أحمد بن المتوكل على الله (ت ٢٧٩هـ) ينظر: الخطيب: المصدر السابق ٤/ ٦٠ -٦٢ (١٦٧٧)، الذهبي: العبر ١ / ٤٠٠ -٤٠١.

(٢) لم يستخدم الإسناد حتى مع أحاديث النبي ﷺ ينظر مثلا: تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٢ - ٧٦.

(٣) ينظر عثمان موافي: المصدر السابق ص ٢٢٣ - ٢٢٥، الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص ٣٣ - ٣٤، لكن الصحيح، أن أقدم كتاب في تاريخ الإسلام، وأوثقه هو تاريخ خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) وهو كتاب قريب على الحوليات، ينظر:تاريخ خليفة بن خياط ١/ ١١ (مقدمة الدكتور صالح أحمد العلي).

(٤) اليعقوبي: المصدر السابق ١/ ٢٠٥.

تاريخ الإمام ابن جرير الطبري:

إن كتاب الطبري (تاريخ الأمم والملوك)[١] أو (تاريخ الرسل والملوك)، أو (أخبار الرسل والملوك)[٢] وهو مشهور بين الناس بتاريخ[٣] الطبري، هو أول[٤] مؤلف تاريخي شامل يتناول تاريخ العالم بشكل عام، وتاريخ الإسلام بشكل خاص، ويُعبّر بذلك عن فكرة عالمية التاريخ ووحدته، متمثلة بتوالي الرسالات[٥].

يعدّ هذا الكتاب من خيرة المؤلفات التاريخية، وأثبتها وأصحها[٦] نسبياً، بل أوفى عمل تاريخي شهده تاريخ الإسلام في القرون الأولى[٧]، أقامه على منهج مرسوم وساقه في طريق استقرائي شامل، بلغت فيه الرواية مبلغها من الثقة والأمانة والإتقان[٨].

---

(١) ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ٢/ ١٦٣، حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٢٩٧، جواد علي: مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٥٩، عماد الدين خليل: في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات، الطبعة الثانية، مطبعة الزهراء - الموصل ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ص ١٩١.

(٢) ينظر الحموي: معجم الأدباء ١٨/ ٦٨ جواد علي: المصدر السابق ١/ ١٥٩، عماد الدين: المصدر السابق ص ١٩١، عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي ص ٢٢٧ وقد طبع هذا الكتاب (تاريخ الطبري) عدة طبعات: الطبعة الأولى طبعة بريل ١٨٧٩م تحقيق M. J. DEGDEJE. وأعقبتها طبعة (المطبعة الحسينية) بمصر ١٩٢٠م، ثم تلت تلك طبعة دار المعارف، مصر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وبين يدي الآن الطبعة الرابعة، ولعلها هي آخر طبعة وصلت إلى قطرنا، ينظر أيضاً عماد الدين: المصدر السابق ص ١٩١.

(٣) ينظر الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص ٣٤.

(٤) ذهب بروكلمان، أن أول من كتب في مجالس التفسير والتاريخ هو الطبري، ينظر: تاريخ الأدب العربي ٣/ ٤٥ - ٤٦، تاريخ الشعوب الإسلامية ٢/ ٣١، وينظر كذلك مرجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب ص ١١٥، ميلي: الدو ميلي: العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ترجمة عبد الحليم النجار وآخرون، الطبعة الأولى، دار القلم ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م ص ٢٨١، سزكين: تاريخ التراث العربي ١/ ١٥٩، وقد اعترض سزكين، وجواد علي على ذلك، والخلاف بينهم خلاف لفظي، حيث أن قصد بروكلمان هو: أول من ألف كتابا شاملا في التاريخ والتفسير، وليس أول من ألف مطلقا. ينظر سزكين: المصدر السابق ١/ ١٥٩، جواد علي: المصدر السابق١/ ١٥٩.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٥٨، عماد الدين خليل: في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات ص ١٩١.

(٦) ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ١٩١، الكتاني: الرسالة المستطرفة ص ١٣٥، حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٢٩٧، مرجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب ص ١٢٥، غوستاف لوبون: حضارة العرب ص ٤٥٣.

(٧) ينظر النصولي: أنيس زكريا، الدولة الأموية في الشام، الطبعة الأولى، دار السلام، بغداد ١٩٢٧م ص د.

(٨) ينظر الطبري: المصدر السابق ١/ ٢١ (مقدمة المحقق)، عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي ص ٢٢٧، جرونيباوم: حضارة الإسلام ص ٣٥٦.

وقد تمكن هذا الكتاب من مجالدة الزمان، ووفَّقَ صاحبه لجمع عدد كبير من المواد المستمدة، من التفسير، والحديث، واللغة والسيرة، والأدب، وتاريخ الأحداث، وتواريخ الخلفاء، فجمعها في كتاب واحد[١].

كما أنه استطاع أن يحفظ لنا نماذج من الكتب التي قد ضاعت، ويكمّل ما قام به المؤرخون قبله، كالواقدي، وابن سعد، وخليفة بن خياط، ، والبلاذري، واليعقوبي، ويمهد الطريق لمن جاء بعده من المؤرخين كالمسعودي، وابن مسكويه، وابن الأثير، وأبو الفدا، والذهبي، وابن خلدون وغيرهم[٢].

منهج الإمام الطبري في كتابه:

ألزم الطبري نفسه بكل وضوح، بمنهج معين، وهو منهج المحدثين أي التمسك بالإسناد، لأن أساس صحة الرواية- عند أهل هذا المنهج- الثقة بالرواة، من حيث العدالة، والضبط، وصحة الإسناد[٣]، من أجل ذلك وضع المسؤولية التامة في أعناق الأجيال التي تأتي بعده فيما نقله عن السابقين.

"لهذا دون الأخبار على عهدة رواتها وعرضها عرضاً موضوعياً محايداً، وعزا كل رواية إلى صاحبها، ولم تقتصر على ما يوافق فكره أو رأيه، ولم يعلق بترجيح أو تفنيد أو إبطال، بل ترك للقارئ أن يميز ويحكم ويختار"[٤].

قال فتحي عثمان [٥]:

"إنما ينتفع بأخبار الطبري من يرجع إلى تراجم رواته في كتب الجرح والتعديل...ثم يقول: فشعار الطبري إذن: العهدة على الراوي".

ولنسمع الآن الطبري وهو يبين نظريته ومنهجه وفلسفته في طريقة تأليفه لتاريخه إذ

---

(١) ينظر جواد علي: المصدر السابق ١/ ١٥٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه١/ ١٥٩.

(٣) ينظر عثمان موافي:منهج النقد التاريخي الإسلامي ص ٢٢٧، الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص ٣٥.

(٤) الحوفي: أحمد محمد، الطبري، طبعة المؤسسة المصرية - القاهرة ص ١٩٢، وينظر كذلك كمال: أحمد عادل: الطريق إلى دمشق، مطبعة دار النفائس، الطبعة الثانية - بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ٥٢.

(٥) عثمان: فتحي عثمان، أضواء على التاريخ الإسلامي، دار العروبة ١٩٥٦م ص ٧٢، ٧٤.

يقول[١]: "وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه، مما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم، إلا بأخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس.

فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين فما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدّيَ إلينا".

وهكذا يوضح الطبري، أن اهتمامه منصب على السند أي: الرواة، وهو ما يسمى بالنقد الخارجي.

أما اهتمامه بنقد المتن فهو نادر، وقليل، وهو ما يسمى بالنقد الداخلي[٢] وقد عد المستشرق شواله (Sehwally) طريقة الطبري في عرض التاريخ على طريقة أهل الحديث طريقة فريدة في بابها[٣].

أما المستشرقان (فلهوزن) و(نيكلسون) فيتهمان رواة الطبري بأنهم: لا يفرقون بين الأخضر واليابس، وهم يذكرون أتفه الأشياء فلا يدعون شيئاً مجهولاً[٤].

وهذا الكلام الصادر من المستشرقين ناتج عن سببين:

السبب الأول: عدم فهم المستشرقين لمنهج المسلمين في نقل الأخبار، وهو: الإعتماد الكلّي على الأمانة العلمية في النقل، سواء كان الخبر جيداً أو تافها، فعلى الراوي المسلم، نقل الخبر كما هو دون زيادة أو نقصان.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ١/ ٧-٨.

(٢) ينظر عماد الدين خليل: في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات ص ١٩٤.

(٣) ينظر جواد علي: مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٦٨.

(٤) ينظر فلهوزن: يوليوس فلهوزن، الدولة العربية وسقوطها، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة - القاهرة ١٩٥٨م ص٢.

السبب الثاني : قد يكون هو الدافع للمستشرقين في اتهام رواة الطبري بذلك وهو: الطعن في رواة الطبري، لإسقاط المرويات، لأن الناقل إذا لم يكن أمينا، فرواياته موضوعة وباطلة كما هو مقرّر في علم الحديث، ولا نستبعد أن يكون المستشرقان إمّعة للمتشيّعة من أتباع المجوس، لأن عددا كبيرا منهم، اطلع على كتاباتهم وأفكارهم وعقائدهم المباينة للإسلام والمسلمين، فلم يجد كلاما أو رأيا أو فكرة أقوى للطعن بالإسلام والمسلمين ولتاريخهم وتراثهم من آراء وعقائد وأفكار وكتابات هؤلاء الضالّين المنافقين المنحرفين عن طريق الإسلام.

تصدى لرد هؤلاء المستشرقين أحد الكتاب الفرنسيين المعاصرين، ودافع عن منهج الطبري، والمؤرخين المسلمين، دفاعاً جيداً، كما وضح الفروق الأساسية بين منهج المسلمين ومنهج الغربيين وهو: حيدر بامات فيقول[(١)]:

"وجد من لام مؤرخي المسلمين، ولا سيما العرب على فقدان روح النقد، في تقدير الوقائع، وعلى الطلاوة في سردها فهذه الملاحظ، وإن لم تخل من أساس يجب أن يحترز من تعميمها - ثم يعلل هذا بقوله - :

وما حمل العلم الغربي زمناً طويلاً من حكم غير ملائم ثم لأثر مؤلفي المسلمين التاريخي يوضح بالوجه الذي يدرك الشرقيون به التاريخ، والذي يختلف عن طراز الغربيين، ولا سيما طراز المدارس الحديثة، فتاريخهم يحمل صفة اليوميات التي تسجل بإخلاص، لا صفة التركيب الواسع الذي يفتن الذهن الأوروبي مقدار فمقدار، وأخص ما مال إليه مؤرخو الإسلام، هو قيد الوقائع وجمع الوثائق، فهم يعدون أنفسهم جامعي أخبار ووكلاء استعلام للأعقاب، لا مفسرين للحوادث الماضية، وحاكمين عليها".

ثم يعقّب على ذلك فيقول[(٢)]:

---

(١) بامات: حيدر بامات (ج. ريفوار): مجالي الإسلام، ترجمة عادل زعيتر، طبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٦م ص ١٥٩ -١٦٠، ومن الغريب إن جواد علي، يشاطر هؤلاء المستشرقين رأيهم لأسلوب الطبري في الاعتماد على الإسناد حيث يقول:

" أثبتت التجارب أن الاعتماد على الرواية في التاريخ أمر لا يليق بالمؤرخ القدير!". وجواد علي مهما يكن عالما وخبيرا فهو: أسير معتقده ودينه الذي يدين به، هو: الطعن بكل ما هو إسلامي، عقيدة وشريعة وحضارة وتاريخا وتراثا، لكنه في بعض الأحيان، فيه شيء من الإنصاف، فرضه عليه ذلك علمه، وتأثره بمنهج المؤرخين. ينظر جواد علي: المصدر السابق ١/ ١٦٨.

(٢) ينظر بامات: المصدر السابق ص ١٦٠.

"فالمؤلف الذي يقوم عمله على نقل الأخبار بلا تفسير ولا نقد، يقدم لنا من ضمان الإخلاص والعدل، أكثر مما يقدم لنا الكاتب الذي، يعرض علينا الوثائق ممحصة أو مشوهة، وحق ما يعتقده عن حسن نية أو عن غرض عن صدق أو عن كذب".

إن الذي ذهب إليه المستشرقان من عدم استخدام المؤرخين المسلمين النقد تجاه الروايات التاريخية، والاعتماد على الرواة فقط، يمكن أن يقال في كل ما كتب من المعرفة التاريخية بصفة عامة في العصور الوسطى في أوروبا وفي غيرها[١]، ومع ذلك فإن هذا التعميم غير صحيح، وسوف تجد في الصفحات القادمة ما يدحض هذا التصور بالشواهد والأدلة الكثيرة في التاريخ الإسلامي.

ولعل السبب في ذلك، اتصال المعرفة التاريخية بالعقيدة الإسلامية اتصالاً مباشراً في الإسلام، واتصالها بفلسفة الأديان في العصور الوسطى (الأوربي) بصفة عامة[٢].

ما يمتاز به تاريخ الطبري:

هناك بعض المسائل التي يمكن أن يتميز بها تاريخ الطبري على غيره من التواريخ، ويمكن أن نجملها فيما يأتي:

أ- يعبر الطبري في تاريخه عن فكرة عالمية التاريخ، ووحدته متمثلة بتوالي الرسالات ويؤيد ذلك عنوان كتابه: (تاريخ الأمم والملوك) أو (تاريخ الرسل والأنبياء).

فهو إذن يريد أن يكتب تاريخاً عالمياً لجميع الأمم والملوك، وليس تاريخاً خاصاً بالإسلام، وبجميع الرسالات، وليس خاصاً برسالة الإسلام[٣].

لذا استهل تاريخه بعصر ما قبل التوراة، وفقاً للروايات الإسرائيلية المتأخرة، والتي جمعها من مفسري القرآن الكريم، أما ما يتعلق بملوك الفرس والدولة الساسانية، فقد اعتمد على كتاب (خداينامه) الفهلوي الذي ترجمه ابن المقفع[٤].

---

(١) ينظر لوبون: غوستاف لوبون: فلسفة التاريخ، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف - مصر ص ٥٣-٥٥.

(٢) ينظر كو لنجوود: فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكير خليل، القاهرة ١٩٦١م ص ٣٥.

(٣) ينظر عماد الدين: في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات ص ١٩١، سيد قطب: في التاريخ الإسلامي فكرة ومنهاج ص ٤٨.

(٤) ينظر بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٣/٨، تاريخ الشعوب الإسلامية (الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها)، ترجمة نبيه أمين فارس وآخرون، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦١م ٢/٣١، وابن

ب- اتبع الطبري في تاريخه نظام الحوليات، الذي هو تنظيم الحوادث على السنين، والشهور والأيام، وهو ضابط انفرد به المسلمون عن غيرهم من شعوب وأمم العالم[١].

قال المؤرخ الإنكليزي (Backle)[٢]:

"إن التوقيت على هذا النحو لم يعرف في أوربا قبل عام ١٥٩٧م".

الطبري مؤرخ محايد:

إن مما يتميز به الطبري، بين المؤرخين هو: حياده التام تجاه الأحداث، يقول جواد علي[٣]:

"وهو مؤرخ محايد، اتبع طريقة جمع الأصول، وتكديسها بعضها على بعض، وتدوينها على صورة روايات المسؤول عنها رجال السند. فهو لم يكن طائفياً، ولا شعوبياً، ولم يتعصب كما تعصب بعض المؤرخين لطائفة، أو جهة معينة".

ويقول أحد المستشرقين[٤]:

"ويمثل الطبري نموذجاً جديداً من المؤرخين وهو، مؤرخ منصف، ولم يكن ميالاً، للشعوبية، ولم يتعصب للشيعة".

اتبع طريقة المحدثين في كتابة التاريخ وهي طريقة الإسناد.

يُعَدُّ تاريخ الطبري أُمّا وأصلا لمن جاء بعده من المدونات التاريخية.

يعدّ تاريخ الطبري؛ المرجع الأصل والأساس في التاريخ الإسلامي، وكل من جاء بعده فهو عيال عليه.

==

المقفع: هو عبد الله بن المقفع الزنديق الفارسي، قتله محمد بن سليمان والي البصرة، ابن عم المنصور، بأمر منه سنة (١٤٥هـ) ينظر: الجهشياري: محمد بن عبدوس بن عبد الله، ت ٣٣١هـ/ ٩٤٣م، الوزراء والكتاب، مؤسسة الحلبي ١٣٦٦ هـ ص ١٠٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ١٥١ - ١٥٥.

(١) ينظر غربال: محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة - لبنان ١٩٨٠م ١/ ٤٨١، عماد الدين: في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات ص ١٩٢، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٣٨٠.

(٢) ينظر غربال: المصدر السابق ١/ ٤٨١، فتحي عثمان: أضواء على التاريخ الإسلامي ص ١٣٧، أحمد عادل: الطريق إلى دمشق ص ٥١، هرنشو: علم التاريخ ص ٦٧.

(٣) مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٦٦.

(٤) عبد الله فياض: التاريخ فكرة ومنهجاً ص ٢٧.

obeikandl.com

يقول حاجي خليفة [١]:

"وإنّهُ هو العمدة في هذا الفن".

واعتمد المؤرخون ممن جاء بعده على تاريخه؛ كالخطيب البغدادي، وابن مسكويه، وابن الأثير، وابن خلدون، وأبو الفدا، وابن كثير، والذهبي [٢] وغيرهم.

إيراد كل الروايات المتعلقة بالحادثة الواحدة.

يمتاز الطبري عن بقية المؤرخين؛ بإيراد جميع الروايات المتعلقة بالحادثة من روايات تاريخية، أو إيراد أغلب الروايات عن الموضوع الواحد[٣].

بينما يمتاز تاريخ خليفة بن خياط باختيار المواضيع ويركز على المواضيع المهمة تاركا الروايات الأخرى[٤].

ويمكن أن نعتبر أسلوب الطبري هذا يشير إلى وجهة النقد لديه[٥].

اعتنى الطبري بأخبار المشرق الإسلامي بالتفصيل وتابع الحوادث من معارك، وثورات، وحركات، وأخبار الخلفاء بعناية بالغة.

لكنه لم يُوْلِ العناية الكافية بالحوادث المتعلقة بالأقاليم الغربية من العالم الإسلامي[٦].

تحليل منهج الطبري ومصادره:

يمكن أن نلخص منهج وطريقة الطبري في تاريخه في النقاط الآتية :

١- اتبع الطبري في كتابه في تاريخ ما قبل الإسلام التنظيم حسب توالي الأنبياء ثم الملوك الذين عاصروهم وما كان في عهدهم من أحداث، ثم ذكر الأمم التي أعقبت الأنبياء في الفترة التي

---

(١) ينظر كشف الظنون ١/ ٢٩٧.

(٢) ينظر الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص٣٤.

(٣) ينظر جواد علي: المصدر السابق ١/ ١٦٦، عماد الدين: المصدر السابق ص ١٩٩، فوزي: عمر فاروق، طبيعة الدعوة العباسية، مكتبة الفكر العربي - بغداد ص٢٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص٢٥، ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ١/ ٨ (مقدمة الدكتور صالح أحمد علي).

(٥) ينظر: عماد الدين خليل: المصدر السابق ص ١٩٩.

(٦) ينظر:خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٨ (مقدمة الدكتور صالح أحمد العلي).

تفصل بين عيسى ومحمد عليهما السلام [١].

قال الطبري[٢]:

"وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان من لدن ابتدأ ربنا جل جلاله إلى حال فنائهم، من انتهى إلينا خبره ممن، ابتدأه الله تعالى بآلائه ونعمه فشكر نعمه، من رسول له مرسل، أو ملك مسلط، أو خليفة مستخلف ... بعد تقديمي إمام ذلك ما تقديمه بنا أولى، والابتداء به قبله أحجى، من البيان عن الزمان، ما هو كم قدر جميعه، وابتداء أوله، وانتهاء آخره ؟ ... ثم أنا متبع آخر ذلك كله - إن شاء الله وأيّد منه بعون وقوة - ذكر صحابة نبينا محمد ﷺ وأسمائهم وكناهم ومبالغ أنسابهم، ومبالغ أعمارهم، ووقت وفاة كل إنسان منهم، والموضع الذي كانت به وفاته.

ثم متبعهم ذكر من كان بعدهم من التابعين لهم بإحسان، على نحو ما شرطنا من ذكرهم، ثم ملحق بهم ذكر من كان بعدهم من الخلف لهم كذلك، وزائد في أمورهم للإبانة عمن حمدت منهم روايته وتقبلت أخباره، ومن رفضت منهم روايته ونبذت أخباره، ومن وهن منهم نقله، وضعف خبره.

وما السبب الذي من اجله نبذ من نبذ منهم خبره، والعلة التي من أجلها وهن من وهن منهم نقله ".

وفيما يتعلق بالتاريخ الإسلامي، فإن الطبري يتبع - كما سبق - نظام الحوليات، وقد راعى ترتيب الحوادث ترتيبا ابتداء من سنة (١ - ٣٠٢هـ)[٣].

لكن يتبع منهجين مختلفين في التاريخ الإسلامي، فيتبع في أخبار عصر الراشدين على تنظيم مادتها على أساس أن الحوادث، حركات شعبية إسلامية وليست أوامر خليفة، ولذلك يقول عن أحداث سنة (١٦هـ) في عهد عمر رضي الله عنه[٤]:

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٨ (مقدمة الدكتور أحمد صالح العلي)، عماد الدين: المصدر السابق ص١٩٢، الطبري: المصدر السابق ١/ ٢٣ (مقدمة محمد أبو الفضل).

(٢) المصدر نفسه ١/ ٦- ٧، ولكن من المؤسف أننا لم نجد ما وصف به كتابه بهذا الوصف إلا نادرا، وربما يعود سبب ذلك، إلى أنه أختصر كتابه هذا في الحجم الحالي، بعد أن كان كتابا مطولا كبيرا !!.

(٣) الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص ٣٥، عماد الدين خليل: في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات ص ١٩٢.

(٤) ينظر خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ١٠ (مقدمة الدكتور صالح أحمد العلي).

"و في هذه السنة فتح المسلمون ... ولا يقول في عهد عمر أو فتح عمر".

أما عند كلامه عن الدولة العباسية، فإنه يتبع التنظيم للسنين والخلفاء فيقول مثلا[١]: "في هذه السنة فتح الخليفة".

٢- الأخبار التي لا ترتبط بزمن:

منهجه في الأخبار التي لا ترتبط بزمن، كالسيّر مثلا، فإنه بعد أن يذكر الأحداث في عهد كل خليفة، يختتمها باستعراض سيرته دون التقيد بزمن[٢].

٣- الاعتماد على السند والرواية :

مثل: حدثني فلان، وإذا كانوا جماعة، حدثنا، ويعتمد أحياناً على المراسلات، فيقول مثلا: كتب الي السَدِّي[٣]، عن فلان، عن فلان[٤].

أما إذا لم يأخذ الخبر عن طريق الرواية، أي أخذها من الكتب، أو عن طريق الإجازة بالرواية من الكتب، فإنه يهمل اسم المحدث، مثل:

حُدِّثْتُ عن فلان، أو ذُكِر عن فلان أنه قال، وهي صيغ وعبارات لا تستحب عند المحدثين[٥].

٤- تساهله في السند في الدراسات الأخيرة:

استخدم في الأجزاء الأخيرة من كتابه صيغا تدل ولاشك على التساهل في السند، مثل: ذكر لي أصحابي.. أو ذكر لي جماعة من أصحابنا.. أو ذكر من رآه وشاهده.. أو حدثني جماعة من أهل.. أو أخبرني جماعة من أهل الخبرة.. الخ.

وهي أحداث وقعت قبيل أيامه أو في أيامه.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه١/ ١٠.

(٢) ينظر عماد الدين: المصدر السابق ص ١٩٣.

(٣) هو محمد بن مروان، أبو عبد الرحمن، السدي، الأصغر، الكوفي، مولى عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، من الثامنة، صاحب الكلبي متروك الحديث، اتهم بالكذب، ينظر ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال ٦/ ٢٦٣، ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين ٣/ ٩٨، المناوي: فيض القدير ٤/ ٢٧٠.

(٤) ينظر: جواد علي: مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٥٩، عماد الدين: المصدر السابق ص ١٩٥.

(٥) ينظر: جواد علي وعماد الدين: المصدران نفسيهما ١/ ١٥٩، ص ١٩٥.

وقد يكون فعل ذلك خوفاً، من محدثيه الأحياء[١]، على أن السند يقلُّ في الأجزاء الأخيرة من الكتاب، حتى ليندر في صفحات متواليات، ربما لأن الطبري، اعتمد فيها على معلوماته الشخصية[٢].

٥- ومن المناهج المهمة التي راعاها الطبري في كتابه إلى حد كبير التوازن الجغرافي والموضوعي في المصادر التي نقل عنها فالروايات التي عالجها الطبري، فضل فيها المصادر القريبة من الحادثة أو على صلة بها[٣].

فعلى سبيل المثال: فيما كتبه ورواه عن ثورة الزكيتين[٤]، آخذ الروايات من أهل الحجاز، ومن أهل العراق، خاصة أهل الكوفة، فهو بهذا يعرض لنا روايات علوية، واخرى عباسية، وثالثة محايدة لكي يقف الناقد البصير على تلك الروايات ويستخدم معها مناهج المحدثين، ويقف على الرواية الصحيحة منها[٥].

٦- النقل من الكتب:

يستخدم أحياناً صيغا تدل على أنه ينقل عن الكتب مباشرة وبلا واسطة، مثل قوله[٦]:

قال ابن الكلبي، أو قال محمد بن إسحاق، أو ذكر الواقدي، وذكر أحياناً المراجع الكتابية لكنها قليلة جدا.

٧- مصادره:

إن من يتمعن بصورة دقيقة تاريخ الطبري يجده أنّ مصادره متعددة ومختلفة. فالروايات التي تتعلق بما قبل الإسلام رواها عن جماعة، والروايات التي تتعلق بالسيرة والمغازي أخذها عن جماعة آخرين.

---

(١) ينظر: نفسيها١/ ١٦٥، ص ١٩٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ١٩٥، ٢١٥، وقد ذكر أهم الروايات التي سجلها الطبري بدون إسناد، ينظر التفصيل: المصدر نفسه ص ٢٠٩ - ٢١٠.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٢٢.

(٤) وهي ثورة عبد الله بن حسن وأخيه؛ إبراهيم المشهورين بذي النفس الذكية، كانت سنة (١٤٥هـ) في عهد أبي جعفر المنصور، ثاني خلفاء بني العباس. ينظر الطبري: المصدر السابق ٧/ ٥٢٢ وما بعدها.

(٥) ينظر عماد الدين خليل: المصدر السابق ص ٢٢٣.

(٦) ينظر جواد علي: المصدر السابق ١/ ١٦٥، عماد الدين: المصدر السابق ص ١٩٥.

وكذلك الروايات التي تتعلق بأخبار الراشدين، وبني أمية، وبني العباس، فإن مصادرها متعددة.

يقول محمد أبو الفضل[١]:

"وأخذ من كل متخصص في فنه، أخذ التفسير عن مجاهد[٢]، وعكرمة وغيرهما، ممن نقل عن ابن عباس. ونقل السيرة عن أبان بن عثمان، وعروة بن الزبير وشرحبيل بن سعد[٣]، وموسى بن عقبة[٤]، وابن إسحاق.

وروى أخبار الردة، والفتح، عن سيف بن عمر التميمي.

وحوادث يومي الجمل[٥]، وصفين[٦]، عن أبي مخنف، والمدائني.

وتاريخ الأمويين عن عوانة بن الحكم.

وأخبار العباسيين من كتب؛ أحمد بن أبي خيثمة.

كما أخذ أخبارالعرب قبل الإسلام، من عبيد بن شريه الجرهمي[٧]، ومحمد بن كعب القرظي[٨]،

---

(١) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٠.

(٢) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، المفسر الإمام، ثقة توفي بين (١٠١ - ١٠٤هـ) ينظر الخزرجي: خلاصة التذهيب ص٣٦٩، الداودي: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م) طبقات المفسرين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ٢/ ٣٠٥ -٣٠٨ (٦١٧).

(٣) شرحبيل بن سعد الخطمي أحد رواة وكتاب السير، ضعيف (ت ١٢٣هـ) ينظر النسائي: الضعفاء والمتروكين ص ١٣٣ (٣٠٥)، ابن حجر: لسان الميزان، الطبعة الثانية، مؤسسة الاعلمي - بيروت ١٣٩٠هـ ٧/ ٢٤٢.

(٤) صاحب المغازي، ثقة، فقيه امام (ت ١٤١هـ) ينظر خليفة بن خياط: المصدر السابق ٢/ ٤٣٦، الذهبي: العبر ١/ ١٤٨، ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٢٨٦ (١٤٨٦).

(٥) كانت وقعة الجمل سنة ٣٦هـ وكانت بين علي وعائشة ﷺ، ينظر الطبري: المصدر السابق ٤ / ٤٥٦ - ٥٥٥، العرموش: أحمد راتب، الفتنة ووقعة الجمل، الطبعة الرابعة، دار النفائس - بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ١٥٥ -١٨٣.

(٦) كانت سنة ٣٧هـ وكانت بين علي ومعاوية ﷺ، ينظر الطبري: المصدر السابق ٥/ ٥ -٧١.

(٧) راوية، إخباري (ت نحو ٦٧هـ) لم أقف له على جرح أو تعديل في حقه، ينظر ابن النديم: الفهرست ص ١٣٢، الحموي: معجم الأدباء ٥/ ١٠ -١٣.

(٨) الكوفي، كان تقيا عالما، روى عن كبار الصحابة، ثقة ورع توفي (بين ١١٧ - ١٢٠هـ) وقيل غير ذلك، ينظر الذهبي: العبر ١/ ١٠١ -١٠٢، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٣٥٧.

obeikandl.com

ووهب بن منبه، وأخبار الفرس من الترجمات العربية من كتب الفرس، ولا سيما كتب ابن المقفع وابن الكلبي وغيرها "[١].

وهؤلاء كما يقول الدوري [٢]:

"متباينون في الدقة والاتجاه والأسلوب وفي طريقة الرواية، وكل يحتاج إلى دراسة تاريخية خاصة".

مشاركته في نقد الروايات وعدمها:

الطبري محدث، وأصولي، وفقيه، ومفسر، ثم مؤرخ مسلم، ينصب اهتمامه على السند حيث يثبته في كل خبر أو رواية، مهما كانت صغيرة، أو تافهة، خاصة في أخبار المراحل الأولى من الفترة الإسلامية، أما فيما بعد ذلك، فنجد أنه يميل إلى الأخذ عن كتب شتى بدون إسناد، ربما لقرب عهده نسبيا بالأحداث من جانب، ومن جانب آخر لكثرة المدونات والوثائق عنها [٣].

من مظاهر النقد الخارجي عند الطبري، إيراده عدة روايات عن الموضوع الواحد، وهو بذلك يريد المقابلة بين الروايات وذلك كثير في كتابه[٤].

فهو يستعمل تعبير: (واختلفوا في ذلك)، ثم يعقبه بإيراد الروايات المختلفة حول الحادثة الواحدة، مثل[٥]: " اختلف في قدوم إبراهيم[٦] البصرة فقال بعضهم ...".

ومثل [٧]: "فذكر بعض أهل بغداد ...وذكر عمرو بن سعيد ...وذكر بعضهم".

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ١/ ٢٤ (المقدمة)، وينظر كذلك الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٠، عماد الدين خليل: في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات ص ١٩٦ - ١٩٧، خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ١١ (مقدمة الدكتور صالح أحمد العلي).

(٢) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٠.

(٣) ينظر عماد الدين: المصدر السابق ص ٢١٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٢١٧.

(٥) تاريخ الأمم والملوك٧/ ٦٣٤.

(٦) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، خرج على المنصور مع أخيه محمد ذو النفس الزكية وقتل (سنة ١٤٥هـ) بباخمرى، ينظر الأصبهاني: مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر، دار المعرفة - بيروت ص ٣١٥ - ٣٨٦، الذهبي: تاريخ الإسلام ص ٣٦ -٤٤ (حوادث ١٤١ -١٦٠هـ).

(٧) الطبري المصدر السابق ٥/ ٥٠ - ٥١ (ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ).

ويستعمل الطبري تعابير أخرى تتضح خلالها وجهته النقدية هذه [١] مثل [٢]:

"وقد قيل في هلاك قحطبة[٣] قول غير الذي قاله، من ذكرنا قوله، من شيوخ علي بن محمد، والذي قيل من ذلك أن ...".

وهذه النماذج من عنصر النقد والمقابلة يتكرر في عدد من المواضيع.

ومثل آخر عن ولاة الأقاليم أو عزلهم[٤]، ومثال آخر في تاريخ وفاة المنصور[٥]:

" واختلف في تاريخ وفاته فقال أبو معشر[٦]: حدثني أحمد بن ثابت الرازي[٧] عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى[٨] ...و روى ابن بكار[٩] أنه قال: ... وقال الواقدي: كانت مدة ولايته ...و قال عمر بن شبه[١٠]: كانت خلافته اثنتين وعشرين سنة إلا ثلاثة ليال".

---

(١) ينظر: عماد الدين خليل: المصدر السابق ص ٢١٨.

(٢) الطبري: المصدر السابق ٧/ ٤١٥.

(٣) قحطبة بن شبيب الطائي، أحد نقباء دعوة بني العباس الاثني عشر، قائد شجاع، غرق في الفرات (سنة ١٣٢هـ) في وقعة مع ابن هبيرة، ينظر الطبري: المصدر السابق ٧/ ٤١٥ - ٤١٧، ابن الأثير: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٨م) الكامل في التاريخ، دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ٤/ ٣٢٠-٣٢١.

(٤) ينظر: عماد الدين خليل: المصدر السابق ص ٢١٨.

(٥) تاريخ الأمم والملوك ٨/ ٦٢.

(٦) نجيح بن عبد الرحمن السندي، صاحب المغازي، كان أميا، يتقى من حديثه المسند، ضعيف بالاتفاق، مع جواز كتابة حديثه (ت ١٧٠هـ) ينظر النسائي: الضعفاء والمتروكين ص ٢٣٥ (٦١٨)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ٢٤٦-٢٤٨ (٩٠١٧).

(٧) فرخويه، كذبه ابن أبي حاتم، لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٦٢، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٨٦ (٣١٤).

(٨) بن نجيح البغدادي، صدوق لا باس به (ت ٢١٤هـ) ينظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ٢٤٥ (٤٥٩)، التقريب ١ / ٦٠ (٤٢٤).

(٩) زبير بن بكار بن عبد الله، قاضي المدينة ثقة (ت ٢٥٦هـ) ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ٨/ ٤٦٧ -٤٧١ (٤٥٨٥)، ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٢٥٧ (١٦).

(١٠) عمر بن زيد بن عبيدة، اخباري، شاعر، ثقة (ت ٢٧٦هـ) ينظر الخطيب: المصدر السابق ١١/ ٢٠٨ -٢١٠ (٥٩١٤)، ابن حجر: المصدر السابق ٧/ ٤٦٠ - ٤٦١ (٧٦٧)، وقد أخطأ ابن حجر في تاريخ وفاته حيث جعله ٢٠٢هـ!.

obeikandl.com

من ذلك استخدامه بعض التعابير التي تنّمُ عن ترجيح بعض الروايات على الأخرى، أو بعبارة أخرى، تقوية بعض الروايات وتضعيف أخرى.

مثل قوله: قال أبو جعفر:

والصحيح عندنا في ذلك، أو أنا أشك في ذلك، أو حينما يستخدم صيغ الشك والتضعيف، مثل وقد زعم[١] بعضهم، أو قيل، أو حدثت، أو في قول فلان أو وأما فلان فإنه ذكر، فإنه يبدي وجهته النقدية تجاه الحادثة[٢].

---

(١) ورد عن النبي ﷺ (بئس مطية الرجل زعموا)، قال الونشريسي: أي أن هذه الكلمة مطية الكذب كأنها مظنته، ينظر: الونشريسي: أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب، دار المغرب الإسلامي - بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ١٢/ ١٣٦، وينظر الحديث السجستاني: سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٩م) سنن أبي داود، دار الحديث - القاهرة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ٤/ ٢٩٥ (٤٩٧٢).

(٢) ينظر جواد علي: مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٦٨، ولم يعتبر ذلك نقدا بالمعيار العلمي الصحيح، وينظر كذلك عماد الدين خليل: المصدر السابق ص ٢١٩.

obeikandl.com

المبحث الثاني
نقد السند

بدايته وظهوره:

١ـ السند لغة واصطلاحا:

السند لغة:

من سند الشيء يسند سنودا، واستند، وتساند، واسند غيره، وكل شيء أسندت إليه شيئاً، فهو مسند [١].

والإسناد في الحديث: رفعه إلى قائله[٢].

وفي الاصطلاح:

قال الحاكم[٣]:

"المسند من الحديث أن يرويه المحدث عن شيخ يظهر سماعه منه لسن يحتمله وكذلك سماع شيخه من شيخه إلى أن يصل الإسناد إلى صحابي مشهور إلى رسول الله ﷺ".

وقال الخطيب [٤]:

"هو ما اتصل إلى منتهاه".

وحكي عن ابن عبد البر[٥]:

"أنه المروي عن رسول الله ﷺ، سواء كان متصلا أو منقطعا".

---

(١) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٢/ ٢١٥ (سند).

(٢) ينظر: الرازي: مختار الصحاح ص ٣١٦ (س ن د).

(٣) ينظر: الحاكم: معرفة علوم الحديث، تحقيق السيد معظم حسين، الطبعة الثالثة، دار الآفاق - بيروت ١٩٧٩م ص ١٧.

(٤) ينظر: الكفاية في علم الرواية، مراجعة عبد الحليم محمد، وعبد الرحمن حسن، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة - القاهرة ص ٥٦.

(٥) شاكر؛ أحمد محمد، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، الطبعة الأولى، دار الفكر - بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص ٤٢.

obeikandl.com

وقد أشار الإمام ابن الصلاح الشهرزوري الكردي، بأن أقرب الأقوال إلى الصواب هو[١]: "القول الأول[٢]، ولا فرق بين الإسناد والسند عند الجمهور[٣] وقد لخصه بعضهم بأنه: الطريق الموصل إلى المتن".

والمسند من كتب الحديث:

يراد به جمع أحاديث كل الصحابة بالنسبة إلى مؤلفه (أي جعل حديث كل صحابي على حدة)، صحيحا كان أو حسنا أو ضعيفا، مرتبين على حروف الهجاء في أسماء الصحابة... أو على القبائل، أو السابقة في الإسلام، أو الشرافة النسبية[٤].

وأكبر مؤلف عرفناه في تاريخ الحديث هو مسند الإمام أحمد بن حنبل، لكن الكتاني يذكر أن هناك مسندان أكبر وأعظم من مسند الإمام أحمد وهما[٥]:

أ - مسند أبي علي الحسين بن محمد الماسرجسي[٦] يقع في (١٣٠٠) جزءا.

---

(١) السيوطي: تدريب الراوي ١/ ٤١ (المطبعة الخيرية ١٣٠٧هـ)، التهانوي: ظفر أحمد بن لطيف، قواعد في علوم الحديث، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثالثة، دار العلم - بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ص ٢٦.

(٢) ينظر: ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ت ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ص ٢١.

(٣) العمري: خليفة بن خياط، موارده وكتابه الطبقات (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الاداب - جامعة بغداد)، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م ص ٢٣ (المقدمة).

(٤) ينظر: ابن حجر العسقلاني: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، المطبعة العصرية - الكويت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ص ٤، وموضوع هذا الكتاب هو: استعراض أحاديث ثمانية مسانيد كاملة هي: مسانيد الطيالسي، والحميدي، وابن أبي عمر، ومسدد، وابن منيع، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، ، وابن أبي اسامة، وأضاف إليها من مسند أبي يعلى (بروايته المطولة) ومسند إسحاق بن راهويه (من نصفه الذي وقف عليه) فاستخرج الأحاديث الزوائد فيها على ما في الكتب الستة ومسند أحمد، ثم رتب تلك الأحاديث على ترتيب الأبواب الفقهية خلافا لترتيب المسانيد المستمد منها، ينظر: المطالب العالية ص ف. و هناك مؤلف آخر يشبه المطالب العالية وهو، اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للحافظ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت ٨٤٠هـ) وقد حقق من قبل طالب الدكتوراه سليمان بن عبد العزيز العريني، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ينظر: المرتضى: الزين أحمد، مناهج المحدثين في تقوية الأحاديث الحسنة والضعيفة، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد - الرياض ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م ص ٤٢٩، أما الكتب المؤلفة في ذلك فهي تربو على ثمانين مؤلفا، ينظر: الكتاني: الرسالة المستطرفة ص ٦١ -٧٦.

(٥) ينظر الكتاني: المصدر السابق ص ٧٣ - ٧٤.

(٦) أحد كبار الحفاظ (ت ٣٦٥هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٥٥ -٩٥٦ (٩٠٠)، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٢٨٣.

ب- مسند أبي حفص عمر بن أحمد البغدادي، المعروف بابن شاهين[١] في (١٦٠٠) جزءا.

٢- عبارات نقد السند:

عبارات أئمة الحديث في التوثيق والتضعيف، وهي عبارات كثيرة ومختلفة، ولها مراتب، ولكل مرتبة من هذه المراتب ألفاظ يمكن للمحدث أن يحكم من خلالها على الرواة، بالتوثيق أو التجريح[٢].

ومن هذه العبارات التي يستعملها أهل الحديث، الدالة على قوة الإسناد قولهم مثلا: إسناده صالح، إسناده جيد، رواته ثقات، له علة غير مؤثرة.

ومن العبارات الدالة على ضعف الإسناد قولهم: إسناده ليس بقوي، في إسناده لين، فيه انقطاع، إسناده ضعيف، إسناده واه، إسناده مظلم ...الخ[٣].

وأحياناً يبينون سبب ضعف السند بتعيين ضعف أحد رواته مثل قولهم في داود بن عطاء[٤]: وداود ضعيف[٥]، وهذا النقد يؤدي في النهاية إلى إصدار أحكام دقيقة للغاية من قبل أئمة هذا الشأن تبين مرتبة الحديث، مثل قولهم: حديث صحيح، أو صحيح غريب، أو حسن، أو غريب، أو غريب جدا، أو منكر، أو موضوع ...الخ[٦].

٣- اختصاص الأمة بالإسناد:

إنّ الإسناد خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة، وسنة من سنن الدين وبه حفظ الله دينه وشريعته.

"إن الله تعالى أكرم هذه الأمة بالإسناد وليس لأحد من الأمم إسناد، إنما هو صحف في أيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم فليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل وبين ما

---

(١) من كبار الحفاظ في عصره ت ٣٨٥هـ، ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ١١/ ٢٦٥ -٢٦٧ (٦٠٢٨)، الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٩٨٧ - ٩٩٠ (٩٢٣).

(٢) ينظر ص ٣٣٩.

(٣) ينظر الذهبي: سير إعلام النبلاء ١/ ١٢٤.

(٤) أبو سليمان المزني المدني، ضعيف، من الطبقة الثامنة، ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ١٢ (٢٦٣١)، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٢٣٣ (٢٨).

(٥) ينظر الذهبي: سير اعلام النبلاء ٢/ ١١.

(٦) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٢٥.

ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوها من غير الثقات، وهذه الأمة إنما تنص الحديث من الثقة المعروف في زمانه بأنه المشهور بالصدق والأمانة عن مثله حتى تتناهى أخبارهم، ثم يبحثون اشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ والأضبط فالأضبط والأطول مجالسة لمن كان فوقه ممن كان أقل مجالسة ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها أو أكثر حتى يهذبوه من الغلط ويضبطوا حروفه ويعدوه عدا، فهذا من أفضل نعم الله على هذه الأمة "[١].

قال الزرقاني[٢]:

"لم يكن في امة من الأمم منذ خلق الله ادم امة يحفظون أثار نبيهم وانساب خلفهم[٣] كهذه الأمة".

بل جعل أئمة المسلمين الإسناد عمود الدين، والوسيلة التي بها يمكن الوصول إلى الغاية فهو سلم لمن يرتقي السطح، وسلاح لمن يحارب.

قال ابن المبارك[٤]:

"الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"[٥].

---

(١) القاري: علي بن سلطان بن محمد الهروي (ت ١٠١٤هـ/ ١٦٠٦م) شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الاثر، دار الكتب العلمية -بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ص ١٩٤، وينظر كذلك الزرقاني: محمد بن عبد الباقي بن يوسف (ت ١١٢٢هـ/ ١٧١٠م) شرح المواهب اللدنية للقسطلاني، طبعة بولاق ١٢٩١هـ ٥/ ٤٥٣، الصنعاني: محمد بن إسماعيل (ت ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م) توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار، مطبعة السعادة - مصر ١٣٦٦هـ ٢/ ٣٩٩.

(٢) شرح المواهب اللدنية ٥/ ٤٥٤، وينظر كذلك اللكنوي: الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ص ٢٤.

(٣) لعله انساب سلفهم، وربما حصل هذا الوهم من أحد النساخ.

(٤) ينظر ترجمته ص ٣٢٢. قال عبد الله بن المبارك: (الإسناد عندي من الدين لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، فإذا قيل له: من حدثك ؟ بقي) أي بقي ساكتا، أو بقي حيرانا كما قال المباركفوري، وقال أيضاً: وفي بعض النسخ يقي، أي يصون نفسه عن التحدث بلا إسناد، ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٥٤.

(٥) ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م، الجرح والتعديل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٧١هـ ١/ ١٦، الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ٦، الخطيب: تاريخ بغداد ٦/ ١٦٦، ابن الصلاح: المقدمة ص ٢١٥، النووي:أبو زكريا يحيى بن شرف، ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م، شرح صحيح مسلم، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ١/ ٨٧، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، مطبعة الحسينية ١٣٢٤هـ ١/ ١٨٧.

وقال أيضاً[١]:

"مثل الذي يطلب أمر دينه بلا إسناد كمثل الذي يرتقي السطح بلا سلم".

وعن إسحاق بن إبراهيم قال[٢]:

"كان عبد الله بن طاهر[٣] إذا سألني عن حديث فذكرته له بلا إسناد، سألني عن إسناده، ويقول: رواية الحديث بلا إسناد من عمل الزمني".

وقال سفيان الثوري[٤]:

"الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل"[٥].

وقد أشاد بعض المستشرقين بعظمة هذا العلم وانفراد المسلمين به، ومنهم شبرنجر، ومرجليوث، وكولدتسهير، وغيرهم[٦] والفضل ما شهد به الأعادي.

حينما وضع المسلمون أسس النقد قبل مئات السنين وسبقوا أمم الأرض في ذلك[٧]، لم يعرف الغرب الإسناد إلاّ في أواخر القرن التاسع عشر، حيث ظهر النقد التاريخي على يدي (شارل لانجلو، وسنيوبوس) الفرنسيان، لذا كان اعتماد علماء المسلمين في كل أمر ديني أو خبر

---

(١) الخطيب: الكفاية ص ٣٩٣، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمد رأفت سعيد، مكتبة الفلاح - الكويت ١٩٨١م ٢/ ٢٧١.

(٢) الزرقاني: شرح المواهب اللدنية ٥/ ٤٥٣.

(٣) لعله: عبد الله السهمي الباهلي، أبو وهب المصري ت ٢٠٨هـ، ينظر ابن عماد: الشذرات ٢/ ٢٠.

(٤) ينظر ترجمته ص ٣٢١.

(٥) السخاوي: شرح الألفية ص ٣٣٥، السيوطي: تدريب الراوي ٢/ ١٦٠.

(٦) ينظر ص ٣١٩-٣٢٠.

(٧) إن القرآن الكريم هو أول مصدر من مصادر المسلمين، الذي تكلم عن نقد الروايات، يقول ابن تيمية في تفسير قوله تعالى:

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [الكهف: ٢٢]

(فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى اخبر عنهم، بثلاثة أقوال، ضعف القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدل على صحته، إذ لو كان باطلا لرده كما ردهما) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، مقدمة في أصول التفسير، مطبعة الترقي - دمشق ١٩٣٩م ص ٣٢، وينظر كذلك رستم: أسد رستم: مصطلح التاريخ، الطبعة الثالثة، المطبعة العصرية - لبنان - صيدا ص ٥٤.

مهم الإسناد[١].

"فهذه العبارة بصراحتها أو بإشارتها تدل على أنه لابد من الإسناد في كل أمر من أمور الدين، وعليه الاعتماد، أعم من أن يكون ذلك الأمر من قبيل الأخبار النبوية، أو الأحكام الشرعية، أو المناقب والفضائل، والمغازي، والسير، والفواضل، وغير ذلك من الأمور التي لها تعلق بالدين المتين والشرع المبين، فشيء من هذه الأمور لا ينبغي عليه الاعتماد، ما لم يتأكد بالإسناد، لاسيما بعد القرون المشهود لهم بالخير"[٢].

٤ـ الاهتمام والسؤال عن الإسناد:

لم يكن الكذب أمرا معهودا أو معروفا عند أصحاب رسول الله ﷺ، حيث كان دوي آيات القرآن الكريم مستمرا على مسامعهم ليل نهار وهو يلعن الكذابين على الله:

﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

كما كان تحذير رسول الله ﷺ لكل صحابي رضي الله عنه ما زال يَرّن في أذنيه[٣]:

(مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ).

وقد ثبت أن أصحاب النبي ﷺ كلهم عدول[٤] وأن الله تعالى رضي عنهم ورضوا عنه، عن عبد الله بن مسلمة بن أسلم[٥] قال[٦]: "ما كنا نتهم أن أحدا يكذب على رسول الله ﷺ متعمدا

---

(١) نصر: الصديق بشير: ضوابط الرواية عند المحدثين، الطبعة الأولى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس (الغرب) ١٩٩٢م ص ٦٢.

(٢) الأجوبة الفاضلة ص ٢٧.

(٣) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأهل السنن ينظر الحميدي: محمد بن فتوح الحميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: د. علي حسين البواب، ط٢، دار النشر/ دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ٣/ ٣١٨ (٢٩١٥) السيوطي: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، الطبعة الأولى، دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ٢/ ٦٤١ (٨٩٩٣)، قال ابن كثير ومن العلماء من كفر متعمدا الكذب على النبي ﷺ ومنهم من يحتم قتله، ينظر: أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٩٧.

(٤) ينظر ص٣٢٦ وما بعدها.

(٥) ضعفه بعض أهل العلم، ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٤٣١ (٤٣٦٢).

(٦) ابن عدي: عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ/ ٩٧٦م) الكامل في ضعفاء الرجال، الطبعة الأولى، دار الفكر - بيروت ١٤٠٤هـ ١/ ٥٠، العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة، الطبعة الثانية، مطبعة الإرشاد - بغداد ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ص ٤٥.

حتى جاءنا قوم من أهل المشرق فتحدثوا عن أصحاب النبي ﷺ والذين كانوا عندهم[١] بأحاديث لا نعرفها فالتقيت أنا ومالك بن أنس فقلت: يا أبا عبد الله، والله إنه لينبغي لنا أن نعرف حديث رسول الله ممن هو ؟ وعمن أخذنا ؟.

فقال: صدقت يا أبا سلمة، فكنت لا اقبل حديثاً حتى يسند لي، وتحفظ مالك بن أنس الحديث من ايامئذ فجئت عبد الله بن الحسن[٢] في السويقة، فقال لي: يا ابن سلمة بن أسلم ما بلغني أنك تحدث، تقول: حدثني فلان عن فلان ؟.

قلت: بلى خلط علينا شيعتكم من أهل العراق وجاؤونا بأحاديث عن بعض أصحاب النبي فحدثته بعض ما حفظت فتعجب له، وقال[٣]: "أصبت يا ابن أخي فزادني في ذلك رغبا".

لذلك كان الصحابة يروي بعضهم عن بعض دون أن يسأل ممن سمعه ومتى سمعه ؟.

يقول البراء[٤]:

"ما كل ما نحدثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه منه، ومنه ما حدثنا أصحابنا ونحن لا نكذب".

كان السؤال عن الإسناد في أغلب الأحيان في البداية مدعاة للسخرية أو الغضب وكان أنس بن مالك[٥] إذا سئل عن حديث اسمعه من رسول الله ﷺ يغضب ويقول[٦]:

"ما كان بعضنا يكذب على بعض".

---

(١) أي في بلادهم.

(٢) بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ثقة جليل القدر قتل (سنة ١٤٥هـ) ينظر الأصبهاني: مقاتل الطالبيين ص ١٩٦، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٤٠٩ (٢٥٤).

(٣) الكفاية في علم الرواية ص ٥٥٩.

(٤) هو براء بن عازب بن الحارث الأنصاري صحابي جليل (ت ٧٢هـ) ينظر ترجمته وقوله، ابن حجر: الإصابة ١/ ١٤٢ -١٤٣ (٦١٨)، تقريب التهذيب ١/ ٩٤ (١٦).

(٥) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم النبي وهو آخر من مات من الصحابة في البصرة (ت ٩١هـ) في أغلب الروايات، ينظر: ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/ ٧٠١ - ٧١٤ (١٠٤)، ابن حجر: الإصابة ١/ ٧١ - ٧٢ (٢٧٧).

(٦) ابن الصلاح: المقدمة ص ٣٨، السخاوي: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، طبعة أنوار محمدي، لكنو - الهند ١٣٠٣هـ ١/ ١٣٥، العمري: المصدر السابق ص ٤٥.

بل الكذب كان نادرا حتى في جيل التابعين لأن الغالب عليهم الصدق، والجمهور الأعظم منهم كانوا على سيرة الصحابة حيث وصفهم النبي ﷺ بقوله[١]: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ).

حين سئل الحسن البصري[٢] (ت١١٠هـ) عن إسناد مراسليه تعجب، قال رجل للحسن[٣]: " أنك تحدثنا فتقول: قال رسول الله ﷺ ولو كنت تسند إلى من حدثك ؟

فقال له: إنا والله ما كذبنا ولا كذبنا ولقد غزوت غزوة إلى خراسان ومعنا ثلثمائة من أصحاب محمد ".

فعلل عدم إسناده لحديثه بأنه تلقى ذلك من أصحاب محمد، وأنهم أصحاب صدق وورع لا يكذبون[٤].

إنّ الذي قلناه لا يؤخذ على إطلاقه فهناك حالات كان بعض الصحابة والخلفاء الراشدون يسألون عن الإسناد ويتثبتون منه[٥]، مما يدل على أن هناك سؤلا عن الإسناد في تلك الفترة وإن لم يكن على النحو الذي عرف متأخرا فهذا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يشدد مع صحابي جليل ويريد أن يطمئن من حديث يرويه عن النبي ﷺ في الاستئذان ويطلب منه البينة والشهود على ذلك.

أن تحديد بداية السؤال عن الإسناد، لا يمكن الجزم به ولكن كما يبدو أن ذلك كان في أعقاب الفتنة الكبرى بعد استشهاد سيدنا عثمان رضي الله عنه حيث ظهرت الأهواء والتعصب والتحزب[٦] وكان

---

(١) ينظر الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ١/ ١٢٠ (٢٦١).

(٢) ينظر ترجمته ص ٤١٨.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال ١/ ٥١.

(٤) ينظر ص ٢٧٠.

(٥) الحديث: أن أبا موسى استأذن على عمر رضي الله عنه ثلاثا فلم يؤذن له فانصرف فأرسل إليه عمر: ما ردك ؟ قال: استأذنت الاستئذان الذي أمرنا به رسول الله ﷺ ثلاثا فإن أذن لنا دخلنا، وان لم يؤذن لنا رجعنا قال، فقال: لتأتيني على هذا ببينة أو لأفعلن فأتى مجلس قومه، فناشدهم فشهدوا له فخلى سبيله، ينظر ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر ٢/ ١٢٢١ (٣٧٠٦)، وينظر البخاري كتاب الاستئذان ومسلم الاستئذان أيضاً.

(٦) ينظر العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٤٣ -٤٤، خليفة بن خياط: الطبقات ص ٢٣ (الأطروحة)، البشير: ضوابط الرواية ص ٦٤.

obeikandl.com

ذلك إيذانا وبداية لظهور الوضع، والكذب على رسول الله ﷺ ومن هنا بدأ السؤال عن الإسناد، يقول محمد بن سيرين[١] (ت ١١٠هـ)[٢]:

" لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم".

لكن هذا كما يقول العلامة الدكتور أكرم العمري[٣]: لا يعني أن كل الأحاديث كانت تروى بأسانيد تامة.

أن الإلحاح على الإسناد زاد يوما بعد يوم خاصة بعد جيل الصحابة وكبار التابعين ومع ظهور الوضاعين والخوف على سنة رسول الله ﷺ وبذلك أصبح الإسناد ضرورة شرعية دينية لا مناص منها[٤].

وأصبح التابعون يسألون عن الإسناد بدقة، يقول يحيى بن سعيد القطان[٥]:

"أن أول من فتش عن الإسناد هو عامر الشعبي[٦] (١٧ - ١٠٣هـ)، سيد التابعين حينما قرأ الربيع بن خثيم[٧] عليه حديثاً قال الشعبي: فقلت من حدثك ؟ قال: عمرو بن ميمون[٨] وقلت

---

(١) أبو بكر محمد بن سيرين البصري أحد الفقهاء الزهاد ثقة ثبت (ت ١١٠هـ) ينظر ابن قتيبة: االمعارف ص ١٩٥ -١٩٦، الشيرازي: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف، ت ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م، طبقات الفقهاء، تحقيق الدكتور إحسان عباس - بيروت ١٩٧٠م ص ٦٧، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٧٧ -٧٨ (٧٤).

(٢) ابن عدي: المصدر السابق ١/ ٣٩، ابن حبان: كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الوعي - حلب ١٣٩٦هـ ٢/ ٢٧ - ٢٨، الرامهرمزي: حسن بن عبد الرحمن بن خلاد (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، الطبعة الأولى، دار الفكر - بيروت ١٣٩١هـ ١/ ١٢، النووي: شرح صحيح مسلم ١/ ٨٤.

(٣) ينظر: بحوث في السنة المشرفة ص ٤٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٤٤.

(٥) ينظر الرامهرمزي: المحدث الفاصل ١/ ١٢.

(٦) أختلف في وفاته على خمسة أقوال وكلها قريبة (بين ١٠٣ - ١٠٧) ينظر: ابن قتيبة: المعارف ص ١٩٨ - ١٩٩، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٤٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/ ١٢ - ١٦ (٣١٧)، ابن تيمية: منهاج السنة ١/ ٧.

(٧) الربيع بن خثيم توفي في ولاية عبد الله بن زياد على الكوفة (سنة ٦١هـ وقيل ٦٣هـ) ينظر ابن سعد: المصدر السابق ٦/ ١٩٣، خليفة بن خياط: الطبقات ص ١٤١.

(٨) هو عمر بن ميمون الأزدي كان صالحا قانتا تابعيا (ت ٧٤هـ وقيل ٧٥هـ) وقيل الاودي، ينظر ابن قتيبة: المعارف ص ١٨٨، الذهبي: العبر ١/ ٦٣.

له: من حدثك؟ فقال: أبو أيوب[١] صاحب رسول الله ﷺ. قال يحيى بن سعيد: وهذا أول ما فتش عن الإسناد".

وكان حرص التابعين وخاصة كبارهم شديداً على ذلك بحيث يعتبرون كل من لا يسند حديثه خاطئا وجريئا على الله، وعلى رسوله ﷺ.

عن عتبة بن أبي حكيم[٢] أنه كان عند إسحاق بن فروة[٣] وعنده الزهري قال: فجعل ابن أبي فروة يقول[٤]: "قال رسول الله ﷺ: قال رسول الله ﷺ.

قال له الزهري: قاتلك الله يا ابن أبي فروة، ما أجرأك على الله لا تسند حديثك ؟ تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة".

وكان الزهري[٥] وهو من صغار التابعين (ت ١٢٤هـ) مثل بعض سلفه من كبار التابعين يتشدد في السؤال عن الإسناد حتى ذهب بعض العلماء ومنهم مالك أنه: أول من فتش عن ذلك[٦].

يبدو إن القصد منهم أول من فتش في بلاد الشام، هو: الزهري.

ويتضح ذلك في تساهل أهل الشام في الإسناد حتى قال الزهري وهو يخاطب أهل الشام[٧]: "يا أهل الشام ما لي أرى أحاديثكم ليس لها أزمة ولا خطم ؟ قال الوليد بن مسلم[٨]: وتمسك

---

(١) هو خالد بن زيد بن كليب الأنصاري صحابي جليل (ت ٥١هـ وقيل ٥٢هـ) ينظر الذهبي: تاريخ الإسلام ص ١٤٧ (حوادث ٤١ -٦٠هـ)، ابن حجر: الإصابة ١/ ٤٠٥ - ٤٠٦ (٢١٦٣).

(٢) وهو عتبة بن أبي حكيم الهمداني، صدوق كثير الخطأ (توفي بحدود ١٤٠هـ) ينظر النسائي: كتاب الضعفاء والمتروكين ص ١٧٤ (٤٣٦)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٢٨ (٥٤٦٩).

(٣) هو إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة متروك (ت ١٤٤هـ) ينظر: البخاري: التاريخ الكبير ١/ ٣٧٢، الضعفاء الصغير، تحقيق محمود زايد، نشر دار الوعي - حلب ١٣٩٦هـ ص ١٧.

(٤) ينظر الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ٦.

(٥) أحد كبار المحدثين والفقهاء، واحد أعلام التابعين، رأى عشرة من الصحابة ﷺ، ينظر: ابن قتيبة: المعرف ص ٢٠٨، أبو نعيم: حلية الأولياء ٣/ ٣٦٠ - ٣٨١ (٣٤٨)، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ١٧٧ - ١٧٩ (٥٦٣).

(٦) ابن أبي حاتم: تقدمة المعرفة، الطبعة الأولى، دار المعارف العثمانية - حيدر اباد ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م ص ٢٠.

(٧) السباعي: مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ٣٩٣، العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٤٦.

(٨) هو الوليد بن مسلم القرشي الدمشقي ثقة، يدليس (ت ٩٤هـ أو ٩٥هـ) ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ٣٤٧ - ٣٤٨ (٩٤٠٥)، ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٣٣٦ (٨٩).

أصحابنا بالإسناد من يومئذ ".

وهكذا أصبح الإسناد فاشيا وطاغيا في أوائل القرن الثاني الهجري وأصبح منهجا يلتزم به المحدثون.

قال ابن سيرين [١]:

"إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ".

وقال أيضاً [٢]:

"بيننا وبين القوم القوائم، يعني الإسناد".

وقال شعبة [٣]:

"كل حديث ليس فيه: إنا، وثنا، فهو خل وبقل أي طعام غير نافع".

حاول بعض المستشرقين تفسير الفتنة التي ذكرناها بالفتنة التي هاجت سنة (١٢٦هـ) بعد مقتل الوليد بن يزيد[٤] كما ذهب إلى ذلك شاخت (shecht) وفرض حول ذلك افتراضات بعيدة عن الواقع[٥].

ويرى (ج. روبسون) (robsan) أن ما توصل إليه (هورفتس) هو الأقرب للصواب أي أن الفتنة المقصودة في كلام ابن سيرين هي فتنة ابن الزبير[٦] سنة (٧٢هـ) حينما أعلن نفسه خليفة، بحجة أن مولد ابن سيرين يتفق مع وصف الإمام مالك لخروج ابن الزبير بأنه فتنة [٧].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١/ ٨٤.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٨٨.

(٣) الكفاية في علم الرواية ص ٢٨٣.

(٤) ابن عبد الملك (الخليفة) قتل (سنة ١٢٦هـ) ينظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٧/ ٢٥٢ - ٢٥٣، الذهبي: العبر ١/ ١٢٣ - ١٢٤.

(٥) Schacht, the origins of muhammadan juris prud ence, p. 36 -37 ، العمري: المصدر السابق ص ٤٤.

(٦) عبد الله بن الزبير بن العوام، صحابي جليل، أحد الشجعان الأبطال، أحد العبادلة الأربعة، بويع له بالخلافة بعد موت يزيد (قتل سنة ٧٣هـ) ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٣٠٠ -٣٠٧، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٠٩ - ٣١١ (٤٦٨٢).

(٧) Robson, the isnad in muslim traiution, glasgow univ, or, soc, trans (1953 - 54), p. 15 - 26، هورفتس: المغازي الأولى ومؤلفوها ص ٢٣، العمري: المصدر السابق ص ٤٧ -٤٨، خليفة بن خياط: الطبقات ص ٢٦ (الأطروحة)، البشير: ضوابط الرواية ص ٦٤.

وذهب المستشرق (كايتاني) أيضاً بأن الإسناد لم يكن له وجود قبل سنة (٧٥هـ) [١]. وقد تابع (سزكين) هورفتس، وكايتاني في ذلك [٢]!.

لعل كل هذه التفسيرات الخاطئة للفتنة الكبرى التي هي واضحة وهي فتنة استشهاد عثمان رضي الله عنه سنة (٣٥هـ) من قبل هؤلاء هي محاولة للنيل والطعن في السنة النبوية بتاخير ظهور الإسناد، وهذا رأي مردود وغير مقبول [٣].

٥ـ من مظاهر اهتمام المسلمين بالإسناد:

اهتم المسلمون بالإسناد اهتماما كبيراً وواضحاً فمن مظاهر ذلك بيان أهل الحديث مخارج أحاديثهم وتتبع طرقها، فعلى سبيل المثال: ألّف أبو نعيم الاصبهاني [٤] في طرق حديث: (إن لله تسعة وتسعين اسما) مؤلفا [٥] خاصا.

كما جمع ضياء المقدسي [٦] طرق حديث (الحوض) والاجري [٧]، طرق حديث (الافك) والطبراني [٨]، طرق حديث (من كذب علي ...) [١].

---

(١) shacht, the origins of muhammedan jurispru dnce p. 37, robson the isnad in muslim tradition

(٢) .fuad sezzingin buharinin kaynaklari, p. 20

(٣) البشير: المصدر السابق ص ٦٤.

(٤) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد، حافظ ثقة (ت ٤٣٠هـ) ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٩١ -٩٢ (٣٣)، الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ١١١ (٤٣٨)، والحديث رواه ابن ماجة والحاكم وسنده ضعيف، ينظر: المستدرك على الصحيحين ١/ ٦٣ (٤٢) السيوطي: الجامع الصغير ١/ ٣٦٢ - ٣٦٣ (٢٣٦٩).

(٥) ينظر أبو نعيم الأصبهاني: جزء فيه طرق حديث إن لله تسعة وتسعين اسما، تحقيق مشهور بن حسن، الطبعة الأولى، مكتبة الغرباء الاثرية - المدينة المنورة ١٤١٣هـ (في حوالي ١٧٠ صفحة).

(٦) هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد السعدي مؤرخ محدث من أهل الشام (ت ٦٤٣هـ) ينظر الكتبي: محمد بن شاكر، ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، فوات الوفيات، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - مصر ١٩٥١م ٢/ ٢٣٨، ابن عماد: الشذرات ٥/ ٢٢٤، وحديث الحوض رواه: عدد من أئمة الحديث منهم الإمام مسلم، ينظر: النووي: شرح صحيح مسلم ٣/ ١٣٧ - ١٤٠.

(٧) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله محدث (ت ٣٦٠هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٣٦ (٨٨٩)، ابن عماد: شذرات الذهب ٣/ ٣٥، والحديث رواه البخاري، ينظر ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٤٣١-٤٣٥ (٤١٤١).

(٨) هو سليمان بن أحمد بن ايوب صاحب كتب المعاجم الثلاثة في الحديث (ت ٣٦٠هـ) ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٧ (٢٧٤٠)، ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٦م) تهذيب تاريخ دمشق الكبير، تحقيق عبد القادر بدران، الطبعة الثانية، دار المسيرة - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ٦/ ٢٤٠.

ومن ذلك أيضاً: بيان أصح الأسانيد فبينوا أصح أسانيد؛ أهل البيت[٢]، وأصح الأسانيد عن الصديق [٣]، وأصح الأسانيد عن عمر[٤]، وأصح الأسانيد عن المكثرين، وأصح أسانيد المكيين، والمدنيين وأصح أسانيد المصريين، والشاميين ...الخ [٥].

وكذلك تتبعوا أوهى الأسانيد وبينوها، فاوهى أسانيد أهل البيت: عمرو بن شمر[٦] عن جابر الجعفي[٧] عن الحارث الأعور[٨]، عن علي.

وأوهى أسانيد الصديق: صدقة بن موسى الدقيقي[٩] عن فرقد السبخي[١٠] عن مرة

==

(١) الكتاني: الرسالة المستطرفة ص ١١٢.

(٢) جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي إذا كان الراوي عن جعفر ثقة.

(٣) إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق.

(٤) الزهري عن سالم عن أبيه عن جده.

(٥) ينظر تفصيل ذلك الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ٥٥ - ٥٦، الخطيب: الكفاية ص ٥٦٢ - ٥٦٥، الصنعاني: توضيح الأفكار ١ / ٢٨ -٣٦، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٢١ - ٢٢.

(٦) هو عمرو بن شمر الجعفي متروك الحديث شيعي لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر النسائي: كتاب الضعفاء والمتروكين ص ١٨٥ (٤٧٥)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٢٦٨ - ٢٦٩ (٦٣٨٤).

(٧) هو جابر بن يزيد بن الحارث متروك وثقه بعض العلماء في أول أمره ثم تراجعوا عن ذلك وهو شيعي اتهم بالقول بالرجعة اختلف في سنة وفاته (بين ١٢٧ - ١٣٢هـ لكن الذهبي يذكر أنه مات سنة ١٦٧هـ) وهو وهم منه أو من أحد النساخ ينظر النسائي: المصدر السابق ص ٧١ (١٠٠)، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٣٧٩ - ٣٨٤ (١٤٢٥)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/ ٤٦ -٥١ (٧٥)، قال الحاكم: سمعت علي بن عمر الحافظ يحكي عن بعض شيوخهم قال حضر نضله (في بعض النسخ بصلة وهو تحريف) مجلس أبي همام السكوني، فقال أبو همام: حدثنا أبي قال: ثنا عمرو بن جابر، فقام نضله فقال: أنت وأبوك وعمرو بن جابر ! الله الله إن صبرنا ! وخرج من المجلس، ينظر الحاكم: المصدر السابق ص ٥٦ - ٥٧.

(٨) هو الحارث بن عبد الله الهمداني الأعور، ضعيف اتهم بالكذب (ت ٦٥هـ) ينظر النسائي: المصدر السابق ص ٧٧ (١١٦)، الذهبي: المغني في الضعفاء، دار المعارف - حلب ١/ ١٤١، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، دار الكتب العلمية - بيروت ١/ ١٣٨.

(٩) البصري أبو المغيرة، لم أقف على وفاته ضعيف لكن يكتب حديثه، ينظر البخاري: التاريخ الكبير ٤/ ٢٩٧، ابن حبان: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ٣/ ٣٧٣.

(١٠) فرقد بن يعقوب البصري اختلف في تضعيفه وتوثيقه (ت ١٣١هـ) ينظر البخاري: التاريخ الكبير ٧/ ١٣١، التاريخ الصغير ص ٩٤، النسائي: المصدر السابق ص ١٩٨ (٥١٤).

obeikandl.com

الطيب[١] عن أبي بكر الصديق. وأوهى أسانيد أبي هريرة السري بن إسماعيل[٢] عن داوود بن يزيد الأودي[٣] عن أبيه[٤] عن أبي هريرة ...الخ[٥].

من مظاهر عنايتهم بالإسناد:

المؤلفات الكثيرة والمتنوعة في علم الرجال ككتب معرفة الصحابة، وكتب الطبقات، وكتب الجرح والتعديل، وكتب الأسماء، والكنى، والألقاب، وكتب المؤتلف والمختلف، وكتب المتفق والمفترق والمتشابه، وكتب الوفيات وهي بمجموعها تدل على عظمة الجهد الذي بذله علماء الحديث في نقد الأخبار[٦].

---

(١) هو مرة بن شراحيل الهمداني، أبو إسماعيل المعروف بمرة الطيب ومرة الخير لقب بذلك لعبادته وثقه ابن معين (ت ٧٦هـ) ينظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٠/ ٨٨ - ٨٩ (١٥٨).

(٢) هو السري بن إسماعيل الهمداني الكوفي ابن الشعبي، متروك الحديث لم أقف على وفاته، ينظر البخاري: المصدر السابق ص٥٦، الذهبي: الكاشف ١/ ٢٧٦، ابن حجر: لسان الميزان ٧/ ٢٢٥.

(٣) داود بن يزيد بن عبد الرحمن الاودي ضعيف، يكتب حديثه ت ١٥١هـ، ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٢١ - ٢٢ (٢٦٥٥)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣/ ٢٠٥ -٢٠٦ (٣٨٩).

(٤) هو يزيد بن عبد الرحمن بن الأسود الزعافري الاودي وثقه جميع أئمة الحديث لم أقف على وفاته، ينظر ابن حجر: المصدر السابق ١١/ ٣٤٥ (٦٦١).

(٥) ينظر الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ٥٦ - ٥٧.

(٦) ينظر البشير: ضوابط الرواية ص ٧٢، ويضرب لذلك مثالا جيداً على اهتمام أئمة الحديث بالإسناد وهو كتاب (الكمال في أسماء الرجال للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٥٠هـ/ ١٢٠٣م) وكيف توجهت إليه عناية العلماء بالتهذيب والتلخيص والاستدراك وهو أربع مجلدات، من هؤلاء العلماء:
- الحافظ أبو الحجاج المزي (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) تهذيب الكمال في أسماء الرجال.
- الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) التهذيب، ومختصره الكاشف عن الرجال الستة.
- الحافظ سراج الدين عمر بن الملقن (ت٨٠٤هـ/ ١٤٠١م) تهذيب الكمال في أسماء الرجال.
- الحافظ ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، تقريب التهذيب.
- الحافظ جلال الدين السيوطي: زوائد الرجال على تهذيب الكمال.
- الحافظ صفي الدين أحمد الخزرجي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال. وهذه الكتب جميعها مطبوعة، ينظر البشير: المصدر نفسه ص ٧٢ -٧٣.

obeikandl.com

نقد السند وعلم التاريخ:

١ - ذكرنا في المبحث الأول[١] أن أهم كتب السيرة والمغازي والتاريخ قد كتبت على طريقة الإسناد، ومنها تاريخ الطبري وبالتالي فمن الممكن تطبيق المنهج النقدي لدى أئمة الحديث على الروايات التاريخية لكونها تشبه الأحاديث من حيث وجود الأسانيد التي تتقدم المتون مما يمكن للناقد من معرفة الرواة واستخدام هذا المنهج عليهم[٢].

لكن استخدام هذا المنهج على الروايات التاريخية ليس بالأمر الهيِّن والميسور بل هو أمر في غاية الصعوبة حيث يحتاج: "إلى استيعاب دقيق لمصطلح الحديث ومرونة في التعامل وفقه في الرواية التاريخية "[٣].

أن صعوبة ووعورة هذا المسلك قد أدى ببعض الباحثين إلى أن يستبعدوا إمكانية تطبيق منهج المحدثين على التاريخ.

"وأساليب المحدثين أن صلحت للحديث الذي هو موضوع ديني لا تصلح لكتابة التاريخ التي من أهم مقوماتها جمع الأخبار من مظانها المختلفة وتدقيقها ونقدها وتحليلها بمعزل عن الدين والقدسية التي تحيط بموضوعاته "[٤].

ويشكك أيضاً الدكتور عبد العزيز الدوري في ذلك حيث يقول[٥]: "ولن يجدينا في هذا المجال الاستفادة من مصطلح الحديث في التاريخ أو الاعتماد على السمعة التي يتمتع بها المؤرخون، فالطبري مثلا من مصادرنا الجليلة، ولكن نظرة إلى ما كتبه عن صدر الإسلام تكشف لنا أننا أمام مجموعة من المؤرخين وغير المؤرخين استند إليهم الطبري مثل: أبو مخنف، وسيف بن عمر، وابن الكلبي، وعوانة بن الحكم، ونصر بن مزاحم، والمدائني، وعروة بن الزبير، و الزهري،

---

(١) ونقد السند عند المحدثين يقابل النقد الخارجي عند المؤرخين وهو يتجه إلى تثبيت نص الوثيقة والتعرف على مؤلفها وزمنها، ينظر زريق: قسطنطين زريق: نحن والتاريخ، ط بيروت ١٩٥٩م ص ٧١.

(٢) العمري: السيرة النبوية الصحيحة، نشر مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ١/ ١٢.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٥، يقول ريمون اردن: لم تعد المعرفة بالتاريخ قائمة في قص ما حدث نقلا عن وثائق مخطوطة حفظت لنا اتفاقا ولكنها قائمة في ما نريد أن نكتشفه مع المظاهر الأساسية لكل مشاركة تضعنا في حالة تفتيش عن وثائق تفتح أمامنا المدخل إلى الماضي، ينظر جوزيف هورس: قيمة التاريخ ص ٩١.

(٤) التاريخ فكرة ومنهجا ص ٤٤.

(٥) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٠.

وابن إسحاق، والواقدي، و وهب بن منبه، وكعب الأحبار ... الخ وهم يتباينون في الدقة والاتجاه والأسلوب وفي طريقة الرواية وكل منهم يحتاج إلى دراسة تاريخية خاصة ".

ثم يحلل رواة كتب السيرة والمغازي بنفس الطريقة ونفس الأسلوب ويشير بأن هذا النوع من الدراسة عسيرة حيث يقول[١]:

"ولكن دراسة هذا الموضوع عسيرة وقلقة إذ أن المؤلفات التاريخية الأولى لم تصلنا كاملة وليست أمامنا منها إلا مقتطفات مبعثرة في تواريخ تالية ومعنى هذا أننا بحاجة لأن نجمع هذه المقتطفات وأن نصنفها لأجل أن نحصل على هيكل تقريبي للمؤلفات المذكورة. ومثل هذه المحاولة تعني إعادة تصنيف المواد التاريخية التي وصلتنا وخاصة للقرون الأولى الثلاثة للهجرة وبإرجاعها إلى أصولها وهو عمل شاق خطير وبطيء ".

غير أن الدوري يضيف عائقا آخر من العوائق في هذا السبيل حيث يقول[٢]: "وهناك مشكلة ثانية وهي: أن هذه المقتطفات تنسب عادة إلى أصحابها دون الإشارة إلى الكتاب الذي اخذ عنه إلا في النادر وهذا يضعنا في موضع لا يخلو من كثير من الافتراض والتخمين حين نحاول معرفة المصدر ثم أننا قد لا نحصل بعد هذا الجهد إلا على خطوط عامة، وقد تكون مترابطة وغير مترابطة بالنسبة للمؤلفات التاريخية".

أدرك الأئمة السابقون ما أشار إليه الأستاذان الدكتور الدوري والعمري حيث أن البيروني (ت ٤٤٠هـ) يذكر بالتفصيل صعوبة هذا الطريق كما يبين الطريقة النقدية السليمة التي يسلكها المؤرخ للوصول إلى حقائق التاريخ والتخلص من زيفه. يقول البيروني [٣]:

"على أن الأصل الذي أصلته والطريق الذي مهدته ليس بقريب المأخذ بل كأنه من بعده وصعوبته يشبه أن يكون غير موصول إليه لكثرة الأباطيل التي تدخل جمل الأخبار والأحاديث وليست كلها داخلة في حد الإقناع فتميز وتهذب ولكن ما كان منها في حد الإمكان جرى مجرى الخبر الحق إذا لم يشهد ببطلانه شواهد أخرى بل قد يشاهد من الأحوال الطبيعية ما لو حكي مثلها عن زمن بعيد عهدنا به لثبتنا الحكم على امتناعها. وعمر الإنسان لا يفي بعلم الأخبار

---

(١) المصدر نفسه ص ١١.

(٢) المصدر نفسه ص ١١.

(٣) البيروني: الاثار الباقية ص ٤ -٥.

جميعها وهذا غير ممكن وإذا كان الأمر جاريا على هذا السبيل فالواجب علينا أن نأخذ الأقرب من ذلك فالأقرب والأشهر فالأشهر ونحصلها من أربابها ونصلح منها ما يمكننا إصلاحه ونترك سائرها على وجهها ليكون ما نعمله معينا لطالب الحق ومحب الحكمة على التصرف في غيرها ومرشدا إلى نيل ما لم يتهيأ لنا...".

ويبدو أن الأمر الأوفق هو ما تقدم حيث أن القيام بهذا الأمر أمر شاق للغاية وهذا لا يعني ترك التاريخ الإسلامي وخاصة تاريخ القرون الثلاثة الأولى منها على ما فيه من الأباطيل دون التمحيص والغربلة فقد عرفنا بأن تاريخ هذه القرون قد دُوِّن على طريقة الإسناد فمن الممكن إعادته وفق منهج المحدثين، وما لا يدرك كله لا يترك كله، أما ما يتعلق بالفترات اللاحقة وتغطية التاريخ الإسلامي بأكمله وفق هذا المنهج فهو لا يقول به عاقل بل أن التفكير في ذلك ضرب من الوهم والخيال.

وما يتعلق بتاريخ الإسلام في العصور الأخيرة قد يكفي اشتراط الأمانة والثقة والدين في المؤرخ لقبول روايته [١].

لكن الأستاذ العمري يرجع بعد أن تكلم بكلامه السابق ويؤكد بأن الحاجة ماسة لتطبيق هذا المنهج على الروايات التاريخية لأن أصحاب هذه الروايات أخباريون ذووا اتجاهات سياسية ومذهبية مختلفة إذ يقول [٢]:

" فإن الحاجة إلى تأثير الأهواء على الأخباريين واختلاط الحق بالباطل اختلاطا يصعب تميزه إلا على المتضلعين بالرجال ومعرفة جرحهم وتعديلهم وميولهم وعقائدهم. إن كتب التاريخ مزيج من مقتطفات أوردها إخباريون ذوو اتجاهات سياسية ومذهبية متباينة فلو أريد إعطاء صورة عن العصر الاموي مثلا من خلال مرويات أبي مخنف فقط فإنها تكون مغايرة كثيراً للصورة التي تكونها مرويات عوانة بن الحكم أو أبي اليقظان النسابة وحدها".

إن اهتمام المؤرخ المسلم ينبغي أن ينصب على إعادة البناء وفق الأسس والمنهج الذي ذكرناه، لا الاهتمام بأمور ثانوية، أو تناول الشبهات [٣].

---

(١) ينظر السبكي: قاعدة في المؤرخين ص ٣٢ -٣٣، العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١/ ٤٥ -٤٦.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٧٠، ومن المفرح أني وجدت خطوات جديدة لهذا الأستاذ العلامة بتطبيق هذا المنهج على الروايات التاريخية حيث صنف (جزاه الله خيراً) في السيرة النبوية وفق هذا المنهج مؤلفا قيما سماه (السيرة النبوية الصحيحة) في مجلدين وكذلك عصر الخلافة الراشدة في مجلد.

(٣) العمري: المصدر السابق ١/ ٨.

٢ - هناك سؤال يفرض نفسه هنا وهو لماذا لم ينتقد أو لم يهتم الرواد الأوائل من المؤرخين بهذا الجانب حيث كان بإمكانهم تطبيق هذا المنهج على الروايات التاريخية بل كان هؤلاء الأئمة ومنهم الإمام الطبري أولى الناس بل أقوي وأعلم الناس بتطبيق هذا المنهج ؟!.

لجواب هذا السؤال نقول:

أ- إن أئمة الحديث والتاريخ اتفقوا على التشدد في الإخبار عن النبي ﷺ كما اتفقوا على التساهل في الأخبار التي لا تتعلق بأمور العقيدة والشريعة.

ب- من المعلوم للمتتبع للتراث الإسلامي أن جهود أئمة التاريخ انصبّت في القرون الأولى على جمع الروايات وتدوينها وتصنيفها في الكتب ولم يكن لديهم فضل من الوقت كي يصرفوه في تمحيص الروايات لكنهم مع ذلك اهتموا بقدر من الانتقاء وذلك بالمقابلة بين المؤلفات ومصادرها الأقدم، حيث يسقط المتأخر مجموعة من روايات المتقدم وهذا واضح في فعل ابن هشام[١] مع ابن إسحاق، والطبري مع مصادره الأولية.

إن تاريخ الطبري كما بينا على سبيل المثال هو انتقاء لروايات وكتب أُلّفت قبله ولم يكتف الطبري بذلك فحسب، بل اختصر تاريخه، إلى الحجم المعهود، حيث كان حجم تاريخه أكبر وأطول مما نراه اليوم، يذكر السبكي[٢] أن ابن جرير قال لأصحابه [٣]:

"هل تنشطون لتاريخ العالم من ادم إلى وقتنا هذا ؟. قالوا: كم قدره ؟ فذكر ثلاثون ألف ورقة. فقالوا: هذا مما يفني الأعمار قبل إتمامه، فقال: إنا لله ماتت الهمم، فاختصره في نحو ما اختصر التفسير، وهو نحو عشر ذلك ".

وهذا الاختصار والانتقاء يمثل عملا نقديا " ورغم أن الانتقاء نفسه يمثل عملا نقديا إلا أن الجهد الضخم الذي بذل في تثبيت الروايات وحفظها في الكتب استنفد طاقة الأوائل من المؤرخين وقام المتأخرون منهم بدور التلخيص لأعمال الأوائل والتذييل عليهم "[٤].

---

(١) هو عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري أحد أئمة السير والمغازي صاحب كتاب السيرة المعروف توفي بين ٢١٣هـ- ٢١٨هـ، ينظر ابن خلكان: الوفيات ٣/ ١٧٧ (٣٨٠)، ابن كثير: التاريخ ١٠/ ٢٨١ - ٢٨٢.

(٢) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ١٠٠، حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٣) ينظر مرجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب ص ١١٦، الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص ٣٥.

(٤) العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١/ ١٦.

ج- إن الذي ذكرناه قد يوهم كثيراً من الناس بأن أئمة التاريخ لم يستخدموا هذا المنهج نهائيا على الروايات التاريخية وهذا أمر غير صحيح حيث سبق أن ذكرنا أن الطبري وهو أحد كبار المؤرخين قد استخدم هذا المنهج ولكن ليس بالمستوى الكافي والمطلوب.

وشارك أغلب مؤرخي المسلمين الطبري في نقد الروايات التاريخية سندا ومتنا وذلك واضح لمن يتابع على سبيل المثال: تاريخ خليفة بن خياط [١]، تاريخ الإسلام، سير أعلام النبلاء للذهبي، الكامل في التاريخ لابن الأثير، البداية والنهاية لابن كثير، أو فتح الباري لابن حجر في شرحه لقسم المغازي من صحيح البخاري [٢].. إلخ.

فالذهبي شارك في نقد كثير من الروايات سندا ومتنا في كتبه الكثيرة وقد تبلغ مئات من الشواهد.

مشاركة الذهبي لنقد السند والمتن:

يقول الذهبي في ترجمة أم المؤمنين عائشة: يروي أبو الحسن المدائني عن يزيد بن عياض [٣]، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال [٤]:

" دخل عيينة بن حصن [٥] على رسول الله ﷺ، وعنده عائشة وذلك قبل أن يضرب الحجاب فقال: من هذه الحميراء يا رسول الله ".

انتقد الإمام الذهبي هذه الرواية قائلاً [٦]:

"هذا حديث مرسل، ويزيد متروك، وما أسلم عيينة إلا بعد نزول الحجاب ...".

---

(١) ينظر ١/ ٢٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٦، وينظر كذلك ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ٧٨ (ترجمة عمرو بن عبيد).

(٣) هو يزيد بن عياض بن يزيد بن جعدبة الليثي، حجازي، متروك الحديث توفي زمن المهدي، ينظر البخاري: التاريخ الكبير ٨/ ٣٥١، التاريخ الصغير ص ١٢٢، ابن حجر: لسان الميزان ٧ / ٤٤٧.

(٤) الحديث موضوع، ينظر القاري: المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، تحقيق، عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ص ١٧٤.

(٥) بن حذيفة بن بدر الفزاري، أبو مالك، صحابي وقد ذكر ابن حجر نقلا عن الشافعي ما يبطل صحبته إن صحت تلك الرواية، مات في زمن عثمان رضي الله عنه، ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٣ / ١٦٧ -١٦٨، ابن حجر: الإصابة ٣/ ٥٤ -٥٥ (٦١٥١).

(٦) سير أعلام النبلاء ٢/ ١٦٧.

obeikandi.com

أن ابن خلدون الذي وضع في مقدمته في (طبائع العمران)[١] قواعد علمية محكمة لنقد الأخبار التاريخية وتمحيصها فسجل بذلك فوزا كبيرا[٢].

لكن مع كل هذه المحاولات - ورغم وجود منهج متكامل لدى المسلمين لتمحيص الروايات - لم نسمع أحدا في حدود علمنا طبق هذه المناهج على الروايات التاريخية ولو لفترة زمنية محددة بشكل تام.

مع ذلك يظل علماؤنا هم، أول من أسس قواعد النقد التاريخي وعلموا العالم ذلك " وأول من نظم نقد الروايات التاريخية ووضع القواعد لذلك علماء الدين الإسلامي ...فاتحفوا علم التاريخ بقواعد لا تزال أسسها وجوهرها محترمة في الأوساط العلمية حتى يومنا هذا "[٣].

التساهل في غير حديث رسول الله ﷺ:

من المعلوم أن أئمة الحديث - وكافة علماء المسلمين، قد شددوا فيما يخص حديث رسول الله ﷺ لأن الإخبار عنه ﷺ ليس كالإخبار عن غيره، وذلك لأن الخبر عنه ﷺ يتعلق بالحلال والحرام، والعقيدة والشريعة، التي تتعلق بمصالح العباد، في دنياهم وأخراهم.

وهذا مما ينبغي الحذر والاحتياط منه.

وقد حذر الرسول ﷺ من الكذب عليه فقال ﷺ[٤]: (بَلِّغُوا عَنِّى وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِى

---

(١) ينظر ص ٢٧، يقول الدكتور العمري: أن أحدا من مؤرخي الإسلام لم يحاول اعادة صياغة النظرة القرآنية للتاريخ وتقديم الوقائع والتطبيقات والشواهد التاريخية عليها بشكل نظريات كلية حتى وقت متأخر عندما كتب ابن خلدون مقدمته، ينظر: السيرة النبوية الصحيحة ١/ ١٤.

(٢) ينظر مصطلح التاريخ ص ب، غوستاف لوبون: حضارة العرب ص ٤٥٣، يقول رستم: وعاصر ابن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦م) فلافيوس بلوندوس الايطالي(١٣٨٨ - ١٤٦٣م) الذي كتب في تاريخ رومة، وحكم عقله وطبق منطقه الفطري فقذف بأساطير زملائه السابقين إلى حيث يطرح سقط المتاع، فكان خير زميل لجاره التونسي الكبير، ينظر رستم: المصدر نفسه ص ب.

(٣) المصدر نفسه ص أ، وينظر كذلك: ماجد: مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي ص ٨٧.

(٤) صحيح البخاري ١٢/ ١٧٤ (٣٤٦١)، (فتح الباري ٦/ ٤٩٦)، هذا الحديث يقول عنه الأسفرائيني (ت ٤٠٦هـ) ليس في الدنيا حديثاً أجتمع عليه العشرة (أي المبشرة) المشهود لهم بالجنة إلا هذا الحديث، ينظر العراقي: زين الدين عبد الرحيم بن حسين الكردي (ت ٨٠٦هـ/ ١٤٠٤م) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، تحقيق عبد الرحمن عثمان، المكتبة السلفية - المدينة المنورة ١٩٦٩م ص ٢٠٨، السيوطي: تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الإسلامي ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م ص ٥٨، وذكر السيوطي لهذا الحديث (٩٧) طريقاً، ينظر: المصدر نفسه ص ٩٧.

إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ).

ومعنى ذلك أن الحديث عن بني إسرائيل إذا حدثت به فأديته على ما سمعته حقاً كان أو غير حق، لم يكن عليك حرج، والحديث عن رسول الله ﷺ لا ينبغي أن يحدث به إلا عن ثقة[١].

يقول الإمام أحمد[٢]:

"إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام، والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد، وإذا روينا عن النبي ﷺ في فضائل الأعمال وما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد".

ويذكر الخطيب عن بعض أهل العلم[٣]: "الخبر إذا ورد لم يحرم حلالاً ولم يحل حراماً، ولم يوجب حكماً، وكان في ترغيب أو ترهيب أو تشديد أو ترخيص، وجب الإغماض عنه والتساهل في روايته".

وهذا الأمر يكاد يكون موضع إجماع من لدن جميع أهل العلم. وبما أن الروايات والأخبار التاريخية في غالبها، لا تتعلق بالعقيدة أو الشريعة، نرى أن أئمة الحديث والتاريخ تساهلوا في أسانيدها فرووا منها ما كان في إسنادها انقطاع أو إرسال، كما رووا عن بعض المتهمين عند أئمة الحديث[٤].

فالأئمة الثقات والكبار من المؤرخين، كمحمد بن إسحاق، وخليفة بن خياط، وابن سعد، والطبري، وابن كثير نجدهم يروون كثيراً من الأخبار المرسلة والمنقطعة، كما أن الطبري يكثر النقل عن رواة في غاية الضعف مثل: هشام الكلبي[٥]، وسيف بن عمر التميمي، ونصر بن مزاحم وغيرهم[١].

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ص ٧٢-٧٣.

(٢) ينظر الخطيب: الكفاية ص ٢١٣، وينظر كذلك: ابن تيميه، علم الحديث، تحقيق موسى محمد علي، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ص ١٥١.

(٣) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٢١٣ وينظر أيضاً ابن خلدون: المقدمة ص ٧.

(٤) ينظر ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ١/ ٢٥، الطبقات ص ٣٢ (الأطروحة) العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٥٦، أحمد عادل: الطريق إلى دمشق ص ٥٨.

(٥) فقد روى الطبري عنه ما يقرب (ثلاثمائة) رواية، شملت تاريخ الأنبياء والسيرة وتاريخ الخلفاء، وطرفاً من أخبار الدولة الأموية، وكان غالياً في التشيع وهو ساقط وتالف عند أئمة الحديث، قال عنه أحمد والعقيلي: ما ظننت أن أحداً يحدث عنه، وقال ابن حبان: يأتي عن أبيه ومعروف مولى سليمان والعراقيين بالعجائب والأخبار التي لا أصول لها. وقال عنه الذهبي: هشام لا يوثق به ينظر العقيلي: الضعفاء الكبير ٤/ ٣٣٩ ابن حبان: المجروحين والمتروكين ٣/ ٩١، الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ٣٠٤-٣٠٥. ، وينظر كذلك، العودة: سليمان بن حمد العودة، نزعة التشيع وأثرها في الكتابة التاريخية، الطبعة الثانية - الرياض ١٤١٥هـ ص ٤٢.

كما أنهم تساهلوا مع أبي معشر السندي في رواياته التاريخية، مع رفضهم لرواياته الحديثة.

يَعُدُّ المؤرخ رشيد الدين فضل الدين الهمذاني (ت٧١٨هـ- ١٣١٨م) أن التساهل لا بد منه في الرواية التاريخية، وإلا لا يمكن لأي مؤرخ كتابة تاريخ أي أمة مهما كان هذا التاريخ .

يقول عن ذلك[٢]:

"لو ذهب المؤرخ إلى وجوب أن يكون كل ما يكتبه مقطوعاً بصحته. فإنه لا يستطيع أن يكتب تاريخ أمة، لأن أكثر ما ينقل إليه إنما يكون لغير المتواتر من الأخبار".

ويحذر رشيد الدين اشتراط يقينية الروايات التاريخية، لأن هذا يؤدي إلى حرمان الناس من مزايا معرفة التاريخ[٣].

إن التساهل الذي ذكرناه يجب أن لا يكون متعلقاً بالجانب العقائدي أو الأحكام، كما أنه يجب أن لا يكون متعلقاً بأخبار سلف الأمة من الخلفاء والعلماء، والفضلاء، الذين ذكرهم الصادق المصدوق ﷺ بقوله: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم....) وإنما التساهل يكون في جوانب، الترغيب والترهيب، والعمران والتخطيط وقصص بطولات المجاهدين، وتضحيتهم.

"أما الروايات الضعيفة التي لا تقوى أو تعتضد فيمكن الإفادة منها في إكمال الفراغ الذي لا تسده الروايات الصحيحة والحسنة على أن لا تتعلق بجانب عقيدي أو شرعي... أما الروايات التاريخية المتعلقة بالعمران، كتخطيط المدن، وريازة الابنية، وشق الترع، أو المتعلقة بوصف ميادين القتال، وأخبار المجاهدين الدالة على شجاعتهم وتضحيتهم، فلا بأس من التساهل بها" [٤].

أقسام الخبر عند المسلمين:

الخبر في اللغة: واحد الأخبار[٥].

وفي الاصطلاح: ما أضيف إلى النبي ﷺ أو أضيف إلى أصحابه أو أضيف إلى من دونهم، ،

==

(١) ينظر العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١/ ٣٩.

(٢) جامع التواريخ، وزارة الثقافة - مصر ١٩٦٠م. مجلد ٢ جزء ١/ ل.

(٣) ينظر: المصدر نفسه مجلد ٢ جزء ١/ ل، وينظر كذلك أحمد عادل: الطريق إلى دمشق ص ٥٩.

(٤) السيرة النبوية الصحيحة ١/ ٤١.

(٥) ينظر الرازي:مختار الصحاح ص١٦٨ (خ ب ر).

فالخبر أعم من الحديث[١].

وهو القول الذي يتطرق إليه التصديق والتكذيب[٢] لكنه قد يقطع بصدقه أو كذبه، لأمور خارجية، وقد لا يقطع بواحد منها إذا لم يعرض موجب للقطع[٣]. قسم العلماء الخبر إلى ثلاثة أقسام[٤].

القسم الأول: ما يحيط العلم بصدقه وهو سبعة.

أ- ما علم وجود مخبره بالضرورة[٥] والاستدلال، كالعلم باستحالة كون الشيء متحركاً ساكناً، أو قائماً قاعداً، ومن الضروري أيضاً وجه آخر يحصل بسبب من جهة الحواس الخمس: كرؤية الشيء يعلم بها الألوان والأجسام[٦].

ب- ما أخبر الله تعالى به، لاستحالة الكذب عليه.

ج- خبر الرسول ﷺ لدلالة المعجزة على صدقه، مع استحالة ظهور المعجزة على أيدي الكاذبين.

د- إجماع الأمة على خبر في عصر من العصور، لعصمتها عن الكذب بأخبار الرسول ﷺ.

---

(١) ينظر ابن تيمية: علم الحديث ص١٠٦، هامش٤، القاري: شرح نخبة الفكر ص١٩٠، الأنصاري: زكريا بن محمد بن زكريا (ت ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق مازن المبارك، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر - بيروت ١٤١١هـ ص ٨٥.

(٢) ينظر ابن تيمية: المصدر السابق ص١٠٦، القاري: المصدر السابق ص١٢٤.

(٣) ينظر خضري بك: محمد بن عفيفي (ت ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م) أصول الفقه، الطبعة السادسة، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ص٢٢٨، البشير: ضوابط الرواية ص٧٦.

(٤) لكن السرخسي قسمه إلى أربعة أقسام: ١- ما علم صدقه ٢- ما علم كذبه ٣- خبر يحتملهما على السواء، مثل خبر الفاسق في أمر الدين، ففيه احتمال الصدق باعتبار دينه وعقله، واحتمال الكذب باعتبار تعاطيه واستوى الجانبان في الاحتمال، فالحكم فيه التوقف إلى أن يظهر ما يترجح به أحد الجانبين عملاً بقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ الآية [الحجرات: ٦]، خبر يترجح فيه أحد الجانبين، مثل شهادة الفاسق إذا ردها القاضي، فإن بقضائه يترجح جانب الكذب فيه، ينظر السرخسي: أبو بكر محمد بن أحمد (ت ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م) أصول السرخسي، تحقيق أبو الوفا الافغاني، دار المعرفة - بيروت ١/ ٣٧٤-٣٧٥.

(٥) قال ابن عبد البر، الضرورة ما لا يمكن العالم أن يشكك فيه، ولا يدخل على نفسه شبهة ويدرك ذلك بواسطة الحس والعقل، ينظر: جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٤٦.

(٦) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٤٦.

هـ- خبر التواتر، وهو خبر بلغت رواته في الكثرة مبلغاً أحالت تواطؤهم على الكذب.

و- ما ذكره المخبر بسمع من النبي ﷺ، ولم يكن غافلاً عنه، فسكت عنه.

ز- ما ذكر بين يدي جماعة أمسكوا عن تكذيبه، والعادة تقضي بالتكذيب وامتناع السكوت لو كان كذباً[١].

القسم الثاني: ما يحيط العلم بكذبه وهو خمسة:

أ- المعلوم خلافه بضرورة العقل أو نظره، أو الحس، أو أخبار التواتر كالأخبار باجتماع النقيضين أو ارتفاعهما. وكذلك المعلوم خلافه بالاستدلال، كالأخبار بقدم العالم.

ب- ما خالف النص القاطع من الكتاب، والسنة المتواترة، أو الأجماع.

ج- الخبر الذي لو كان صحيحاً لتوفرت الدواعي على نقله متواتراً إما لكونه من أصول الشريعة، وأما لكونه أمراً غريباً. مثل، نص الرسول ﷺ على خلافة إمام معين، وكسقوط الخطيب عن المنبر وقت الخطبة.

د- خبر مدعي الرسالة من غير معجزة.

هـ- ما صرح بتكذيبه جمع كثير استحال تواطئهم على الكذب، كأن قالوا: حضرنا معه في ذلك الوقت فلم نجد ما حكاه من الواقعة[٢].

القسم الثالث: ما لا يقطع بصدقه ولا كذبه:

وذلك كخبر المجهول، فإنه لا يترجح صدقه ولا كذبه، وقد يترجح صدقه ولا يقطع به كخبر العدل، وقد يترجح كذبه ولا يقطع به كخبر الفاسق[٣].

---

(١) ينظر الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) مجموعة رسائل الجاحظ ص ٢٤ - ٢٦، الاسنوي: جمال الدين: عبد الرحيم بن الحسن (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م) نهاية السول شرح منهاج الأصول، المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٥٤هـ ٣/ ٦٧١ - ٧٠١، الشوكاني: محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) إرشاد الفحول، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ١٣٥٦هـ ص٤٥، المدرس: عبد الكريم محمد، صفوة اللآلي من مستصفى الإمام الغزالي، الطبعة الأولى، مطبعة العاني - بغداد ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ص ٩٤ - ٩٥، ابن تيمية: علم الحديث ص ١٠٦ -١١٠، ١١٧.

(٢) ينظر الأسنوي: المصدر السابق ٣/ ٧٠٢ -٧١٠، الشوكاني: المصدر السابق ص ٤٥، المدرس: المصدر السابق ص ٩٥ -٩٦.

(٣) ينظر السرخسي: الأصول ١/ ٣٧٤-٣٧٥، الشوكاني: المصدر السابق ٤٦.

الخبر ينقسم إلى متواتر وآحاد:

أولا المتواتر:

هو خبر بلغت روايته في الكثرة مبلغاً أحالت العادة تواطؤهم على الكذب[١].

وقد أشترط العلماء لذلك شرطين:

أ- أن يكون علمهم ضرورياً مستنداً إلى محسوس، إذ لو أخبرنا عن حدوث العالم أو عن ظن لم يحصل لنا العلم.

ب- أن يستوي طرفاه والوسط في عدم تواطئهم على الكذب، لكثرتهم ويدوم هذا الحد فيكون أوله كآخره، ووسطه كطرفيه، نحو: تواتر القرآن الكريم، والصلوات وعدد الركعات، ومقادير الزكوات وما أشبه ذلك[٢] وهو يفيد العلم الضروري[٣].

يقول بن عبد البر[٤]:

"فهذا (أي التواتر) من الحجج القاطعة للاعتذار إذا لم يوجد هناك خلاف، ومن رد إجماعهم فقد رد نصاً من نصوص الله يجب استتابته عليه وإراقة دمه أن لم يتب لخروجه عما أجمع عليه المسلمون".

---

(١) ابن الأثير: مجد الدين، المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م) جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق، عبد المجيد سليم، وحامد الفقي - القاهرة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م ١/ ١٢٢، ابن الحنبلي: رضي الدين الحنبلي، قفو الأثر، مطبعة السعادة، ١٣٢٦هـ، ص ٥، الجزائري:طاهر بن صالح (ت ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م) توجيه النظر إلى أصول الأثر، الطبعة الأولى، مطبعة الجمالية ١٣٢٨هـ ص ٣٣.

(٢) ينظر ابن الأثير: المصدر السابق ١/ ١٢٢، المدرس: صفوة اللآلي ص ٨٩-٩٠، ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية شروط التواتر، والعدد المطلوب فيه وأطنب في ذلك حيث ذكر أقوال العلماء ثم قال: (وهذه الأقوال باطلة لتكافئها في الدعوى والصحيح الذي عليه الجمهور: أن التواتر ليس له عدد محصور، والعلم الحاصل بخبر من الأخبار يحصل في القلب ضرورة، كما يحصل الشبع عقيب الأكل والري عند الشرب، وليس لما يشبع كل واحد ويرويه قدر معين، بل قد يكون الشبع اكثرة الطعام، وقد يكون لجودته كاللحم وقد يكون لاستغناء الأكل بقليله...كذلك العلم الحاصل عقيب الخبر. تارة يكون بكثرة المخبرين، وإذا كثروا فقد يفيد خبرهم العلم، وأن كانوا كفاراً وتارة يكون لدينهم وضبطهم، فرب رجلين أو ثلاثة يحصل من العلم بخبرهم ما لا يحصل بعشرة وعشرين ما لا يوثق بدينهم وضبطهم...). ينظر التفصيل: علم الحديث ص١١٧-١٢٠، رفع الملام عن الأئمة الاعلام، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٢هـ ص٦٨-٧١.

(٣) ينظر ابن تيمية: علم الحديث ص ١١٥، التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ٣١.

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، تحقيق عبد الرحمن عثمان، الطبعة الثانية، المكتبة السلفية - المدينة المنورة ١٩٦٨م ٢/ ٤١-٤٢.

والمتواتر ينقسم إلى:

١- التواتر اللفظي:

كحديث: (من كذب علي متعمداً....) فقد ذكر الأمام العراقي أنه: رواه من الصحابة خمس وسبعون صحابياً[١]، وعدهم علي القاري عن طريق: مائة وأثنين من الصحابة[٢].

ونقل الأمام النووي: أنه جاء عن مائتين من الصحابة[٣].

٢- التواتر المعنوي:

كأحاديث رفع اليدين في الدعاء، اختلفت ألفاظها ولم تتواتر، ولكن القدر المشترك فيها وهو: الرفع عند الدعاء، تواتر باعتبار المجموع.

روي فيه مائة حديث[٤].

أما إدعاء النصارى بأن أخبار الصلب متواترة، فإن العلماء قد ردوا ذلك وقالوا: بأنها لم تبلغ التواتر في أصلها وإنما طرأ التواتر عليها بعد زمن[٥] كما أنهم شاهدوا شخصاً مصلوباً قتيلاً شبه عيسى عليه السلام، وليس هو عيسى[٦].

ثانيا الآحاد:

وهو ما لم يجمع شروط المتواتر، سواء نقله واحد أو نقله أربعة أو ستة على سبيل المثال[٧].

---

(١) ابن حجر العسقلاني: النكت على ابن الصلاح، تحقيق بسيع بن هادي عمير، الطبعة الأولى، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ٢ / ٨٥٣ - ٨٥٧، وينظر كذلك البشير: ضوابط الرواية ص ٨٥.

(٢) علي القاري: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، تحقيق، محمد الصباغ، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧١م.

(٣) ينظر النووي: شرح صحيح مسلم ١/ ٦٨.

(٤) ينظر ابن تيمية: علم الحديث ص ١١٦، السيوطي: تدريب الراوي ٢/ ١٨٠.

(٥) ينظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، الطبعة الأولى، المطبعة الأدبية - مصر ١٣٢٠هـ ١/ ١٥٣، ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق، علي حسن ناصر مع آخرين، الطبعة الأولى، دار العاصمة - الرياض ١٤١٤هـ ٢/ ٣٠٣، ٤/ ٣٤، ابن القيم: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، دار الكتب العلمية - بيروت ص ١٧٢ - ١٧٤.

(٦) ينظر المدرس:صفوة اللآلي ص ٩٢

(٧) ينظر القاري: شرح نخبة الفكر ص ٥١، التهانوي:قواعد في علوم الحديث ص ٣٣، المدرس: المصدر السابق ص ٥٨.

وكلها سوى المتواتر آحاد[١].

لكن هل الخبر الواحد الصحيح يفيد القطع أم الظن؟!.

أختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال:

أ- أنه لا يفيد القطع، بل هو ظني الثبوت، وهو الذي رجحه النووي في التقريب[٢].

ب- يفيد القطع، وهو مذهب داود الظاهري، والحسين بن علي الكرابيسي، والحارث بن أسد المحاسبي، وحكي عن مالك، وهو الذي ذهب إليه ابن حزم واختاره[٣]، كما أيد هذا المذهب من المعاصرين، العلامة: أحمد شاكر ودافع عنه بقوة[٤].

ج- أما المذهب الثالث فهو التفصيل وهو: أن ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما، أو رواه أحدهما أو كان على شرطيهما أو شرط أحدهما أو صحيح عند غيرهما، وليس على شرط واحد منهما، هذا القسم جميعه مقطوع بصحته والعلم اليقيني النظري واقع به، ولأنه تلقته الأمة بالقبول، والأمة في إجماعها معصومة من الخطأ.

وهذا مذهب الإمامين: ابن الصلاح الشهرزوري، وابن تيمية الكرديان، والإمام ابن القيم[٥].

---

(١) ينظر القاري: المصدر السابق ص ٥١، التهانوي: المصدر السابق ص ٣٣.

(٢) ينظر النووي: تقريب النواوي، تعليق صلاح بن محمد الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م (مطبوع مع تدريب الراوي) ١/ ٦٥، وينظر كذلك أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٣٣ هامش ٢.

(٣) ينظر الأحكام ١/ ١١٩-١٣٧ حيث أطال في ذلك ورد على مخالفيه، وقد ألف عبد الغني عبد الخالق كتاباً قيماً في حجية السنة وسماه (حجية السنة) وعالج كل ما يتعلق بهذا الموضوع بدقة، ينظر عبدالغني عبد الخالق: حجية السنة، مطبعة منير - بغداد من الصفحة ٢٤٥ إلى نهاية الكتاب.

(٤) ينظر الباعث الحثيث ص ٣٤، وأنتصر لهذا الرأي الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، ينظر: ظلمات أبي ريه أمام أضواء السنة المحمدية، الطبعة السلفية ١٣٧٩هـ ص ٢٨٤.

(٥) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ١٤، ابن تيمية: علم الحديث ص ١١٧، ابن القيم: الصواعق المرسلة ٢/ ٣٤٢-٤٣٣، الموصلي: محمد، مختصر الصواعق المرسلة، مكتبة الرياض الحديثة ٢/ ٣٧٢-٣٧٤، ابن تيمية: رفع الملام ص ٦٨-٦٩ قال ابن تيمية: (فأكثر متون الصحيحين متقنة، تلقاها أهل العلم بالحديث بالقبول والتصديق، وأجمعوا على صحتها، وإجماعهم معصوم من الخطأ، كما أن إجماع الفقهاء على الأحكام معصوم من الخطأ ولو أجمع الفقهاء على حكم كان أجماعهم حجة، وأن كان مستند أحدهم خبر واحد أو قياس، أو عموم. فكذلك أهل العلم بالحديث إذا أجمعوا على صحة خبر أفاد العلم، وأن كان الواحد منهم يجوز عليه الخطأ. ، لكن أجماعهم معصوم عن الخطأ) علم الحديث ص ١١٧.

وكذلك كل خبر - بلغ مرتبة الصحيح أو لم يبلغ - تلقته الأمة بالقبول يفيد العلم اليقيني.

يقول ابن تيمية فيما نقله عنه بن القيم[١]:

"وأما القسم الثاني من الأخبار فهو: ما لا يرويه إلا الواحد العدل ونحوه ولم يتواتر لفظه ولا معناه، ولكن تلقته الأمة بالقبول عملاً به أو تصديقاً له كقوله ﷺ: (يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ)[٢] فهذا يفيد العلم اليقيني[٣].

وكذلك حديث: (لا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ)[٤] وهو حديث لم يبلغ درجة الصحيح، وفي سنده مقال، لكن تلقته الأمة بالقبول، فيجب القطع والعمل به، وهذا مذهب جماهير أمة محمد من الأولين والآخرين".

---

(١) ابن القيم: الصواعق المرسلة ٢/ ٤٣٢-٤٣٣، الموصلي: مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٣٧٢-٣٧٤، ابن تيمية: علم الحديث ص١١٧-١١٨، ومن الأئمة الذين قالوا بذلك: القاضي عبد الوهاب المالكي، والشيخ أبو حامد الأسفرائيني، والقاضي أبو الطيب الطبري، والشيخ أبو إسحاق الشيرازي من الشافعية. وابن حامد، وأبو يعلى بن الفراء، وأبو الخطاب، وابن الزاغوني، وأمثالهم من الحنابلة. شمس الأئمة السرخسي من الحنفية، قال: وهو قول أكثر أهل الكلام من الأشعرية وغيرهم، كأبي إسحاق الأسفرائيني، وأبن فورك، قال: وهو مذهب أهل الحديث قاطبة، ومذهب السلف عامة، نقل ذلك ابن كثير عن العلامة ابن تيمية، ينظر أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص٣٤.

(٢) صحيح البخاري ٩/ ٤٣٣ (٢٦٤٥) سنن النسائي ٣/ ٢٩٥ (٥٤٣٥) ابن ماجة: السنن ١/ ٦٢٣ (١٩٣٧، ١٩٣٨)، ابن تيمية: مجد الدين عبد السلام ابن تيمية (ت ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م) المنتقى من أخبار المصطفى، الطبعة الثانية، دار الفكر ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م ٢/ ٦٦٣ (٣٨٥٨، ٣٨٥٩، ٣٨٦٣).

(٣) ينظر الصواعق المرسلة ٢/ ٤٣٢-٤٣٣، وينظر كذلك: الموصلي: مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٣٧٢-٣٧٤، ابن تيمية: رفع الملام ص٦٨-٦٩،

(٤) الدار قطني: علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٨م) سنن الدار قطني، عالم الكتب - بيروت ٤/ ١٥٢، رواه عن سهل بن عمار بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وسهل، كذبه الحاكم، وروي بطرق أخرى، كلها لا تخلو من مقال: ينظر: الزيلعي:جمال الدين، عبد الله بن يوسف (ت ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م) نصب الراية لأحاديث الهداية، تحقيق، محمد يوسف البنوري، دار الحديث - مصر ١٣٥٧هـ ٤/ ١١١، ابن حجر العسقلاني: الدراية في تخريج أحاديث الهداية، تحقيق، السيد عبد الله هاشم اليماني، دار المعرفة - بيروت ٢/ ١٨٠ (٨٤٦)، وينظر كذلك: ابن تيمية: علم الحديث ص١١٨.

وينقسم الحديث حسب أنواعه صحة وضعفا إلى ثلاثة أقسام:

أ- الحديث الصحيح:

فهو الحديث الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون، شاذاً، ولا معلاً[١].

وذِكْرُ العلماء لهذه الصفات إحترازٌ، عن المرسل، والمنقطع، والمعضل، والشاذ وما فيه علة قادحة، وما في روايته نوع جرح. وقد حكم بصحة هذا النوع أئمة الحديث بلا خلاف[٢].

والصحيح أيضاً ينقسم إلى قسمين:

- صحيح لذاته: هو ما أشتمل من صفات القبول على أعلاها[٣].
- صحيح لغيره: لا يشتمل على صفات القبول أعلاها، بل يصحح لأمر خارجي عنه، كالحديث الحسن، فإنه إذا روي من غير وجه أرتقى بما عضده من درجة الحسن إلى درجة الصحة[٤].

ب- الحديث الحسن وهو:

ما اتصل سنده بنقل، عدل خفيف الضبط وسلم من الشذوذ والعلة.

والفرق بينه وبين الصحيح، أن العدل في الحسن خفيف الضبط بينما في الصحيح تام الضبط. وهو كالصحيح في الحكم به، والاستشهاد بمضمونه[٥].

وينقسم أيضاً إلى قسمين:

- الحسن لنفسه: هو الذي بلغ بنفسه – درجة الصحيح في شروطه، لكن أخف منه بضبط رجاله[٦].

---

(١) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ٧ –٨، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ١٩ – ٢٠.

(٢) ينظر المصدران السابقان بصفحاتهما نفسها.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٧ –٨، القاسمي: جمال الدين بن محمد سعيد (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، مطبعة ابن زيدون –دمشق ١٣٥٣-١٩٢٥م ص٥٦، الصالح: صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين – بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م ص ١٤٦.

(٤) ينظر المصدران السابقان بصفحاتهما نفسها.

(٥) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٣ – ١٤، ابن تيمية: علم الحديث ص ٨٢، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ٣٧، ٣٨.

(٦) ينظر الصالح: المصدر السابق ص ١٥٦.

obeikandl.com

- الحسن لغيره: هو ما في إسناده مستور لم تتحقق أهليته ولا عدم أهليته غير أنه ليس مغفلاً كثير الخطأ ولا متهماً بالكذب، ويكون منته معضداً بمتابع أو شاهد[١].

وأول من قسم الحديث هذا التقسيم هو (الترمذي) وكتابه (الجامع الصحيح) أصل في معرفة ذلك[٢].

ومن مظان الحديث الحسن، (سنن أبي داود) و(كتاب المصابيح للبغوي) (وسنن الدار قطني)[٣].

وقول الترمذي: حديث حسن صحيح، قال ابن الصلاح[٤]: " أي حسن بالنسبة إلى إسناد صحيح بالنسبة إلى إسناد آخر ".

أما قوله: حسن غريب[٥] قال بن تيمية[٦]:

"والحديث قد يكون صحيحاً غريباً كحديث (إنما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)[٧]... فإن هذه صحيحة متلقاة بالقبول، ثم يقول: فهذا الحديث لا يعرف ثابتاً عن غير عمر".

ويستمر ابن تيمية في تعليل قول الترمذي ويقول[٨]:

---

(١) ينظر الصنعاني: توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ١/ ١٨٨

(٢) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٧-١٨، ابن يتمية: المصدر السابق ص ٨٢، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ٣٩-٤٠.

(٣) ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٨، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ٣٩-٤٠.

(٤) المقدمة ص ١٩، ذهب بن كثير بأن المقصود بـ (حسن صحيح) أعلى رتبة عنده من الحسن، ودون الصحيح، ويكون حكمه على الحديث بالصحة المحضة أقوى من حكمه عليه بالصحة مع الحسن. ينظر أحمد شاكر: المصدر السابق ص ٤١، لكن الأمام العراقي رده وقال: الذي ظهر له تحكم لا دليل عليه، وهو بعيد عن فهم معنى كلام الترمذي. ينظر العراقي: التقييد والإيضاح لما أطلق واغلق من مقدمة ابن الصلاح، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ص ٤٠.

(٥) الغريب: الذي أنفرد به الواحد، ينظر ابن تيمية: المصدر السابق ص ٨٢.

(٦) المصدر نفسه ص ٨٢.

(٧) تكملة الحديث: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمريء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) حديث متفق عليه، ينظر: صحيح البخاري ٢/ ٢٣٠ (٢٢٠٣)، (فتح الباري ١/ ٩ (١).

(٨) علم الحديث ص ٨٢-٨٣.

"الذين طعنوا الترمذي لم يفهموا مراده في كثير مما قاله فإن أهل الحديث قد يقولون: هذا الحديث غريب أي: من هذا الوجه وقد يصرحون بذلك فيقولون: غريب من هذا الوجه. فيكون الحديث عندهم صحيحاً معروفاً من طريق واحد، فإذا روي من طريق آخر كان غريباً من ذلك الوجه، وإن كان المتن صحيحاً معروفاً، فالترمذي إذا قال: حسن غريب، قد يعني أنه غريب من ذلك الطريق، ولكن المتن له شواهد صار بها من جملة الحسن".

ج- الحديث الضعيف وهو:

ما لم يجتمع فيه صفات الصحيح، ولا صفات الحسن[١].

قد حاول بعضهم أن يجمع الصور العقلية لأقسام الضعيف من خلال فقده شروط الصحة والحسن فخرج بإحدى وثمانين وثلاثمائة صورة، يقول ابن حجر في ذلك[٢]: "تعب ليس وراءه أرب".

أما أبو حاتم بن حبان البستي فقد بلغ به خمسين قسماً إلا واحداً[٣].

والأقسام المعروفة هي: الموضوع، المقلوب، الشاذ، المعلل، المضطرب، المرسل، المنقطع، المعضل[٤].

ذكر الأمام ابن الصلاح الشهرزوري الكردي[٥] قاعدة دقيقة في تصنيف الحديث الضعيف وجاء الأمام زين الدين العراقي الكردي أيضاً، وطبق تلك القاعدة على أنواع الحديث الضعيف بشكل جدول دقيق متناه في الدقة، وذلك إن دل على شيء فإنه يدل على ما امتاز به عقلية أئمة الحديث وتفوقهم في وضع مثل هذا المنهج واتسامه بالدقة في نقد الخبر.

من المعروف لدى أئمة الحديث كما سبق في شروط الحديث المقبول:

١- الاتصال.

---

(١) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ٢٠، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٤٢.

(٢) السيوطي: ألفية السيوطي في علم الحديث، تصحيح وشرح أحمد شاكر، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٣٤م ص ٥٨، وينظر كذلك صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ١٦٥.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٢٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٠، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ٤٢.

(٥) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٢٠.

٢- العدالة.
٣- السلامة من كثرة الخطأ أو الغفلة.
٤- مجيئه من وجه آخر حيث كان في الإسناد مستور لم تعرف أهليته وليس متهماً بالكذب.
٥- عدم الشذوذ.
٦- عدم العلة.

فإن بفقدان أحد هذه الشروط يصبح الحديث ضعيفاً، وعد العراقي[١] الحديث الضعيف باعتبار فقدان هذه الشروط إلى أثنين وأربعين قسماً واليك ذلك بشكل جدول[٢].

(١) ينظر شرح العراقي على الألفية ص، وينظر كذلك الصنعاني: توضيح الأفكار ١/ ٢٤٩-٢٥٢.
(٢) ينظر الملحق رقم (١).

obeikandl.com

المبحث الثالث

نقد المتن

المتن لغة: ما صلب ظهره، والجمع متون ومتان، والمتن ما ارتفع من الأرض واستوى[١].

وقال الطيبي[٢]:

"هو ما اكتنف الصلب من الحيوان، وبه شبه المتن من الأرض، ... فمتن كل شيء ما يتقوم به ذلك الشيء كما أن الإنسان يتقوم بالظهر ويتقوى به".

وفي الاصطلاح: متن الحديث ألفاظه التي تتقوم بها المعاني، واختلف في متن الحديث أهو قول الصحابي عن رسول الله ﷺ كذا وكذا أم هو مقول الرسول ﷺ فحسب؟ والأول أظهر[٣].

المتن عند المؤرخين:

وعند المؤرخين: هو الذي يقوم على نقد متن الرواية وتحليلها وعرضها على الوقائع التي هي أقوى منها، ومعارضتها بها، ودراسة لغة الخبر وغيرها واستخدام جميع الوسائل المتاحة للناقد التي تثبت دعواه[٤].

ونقد المتن عن المحدثين يقابل، النقد الداخلي (أو الباطني) عند المؤرخين[٥]، وأهم ما في النقد الداخلي:

---

(١) ينظر الجوهري: الصحاح ٢/ ٤٧٥، الازهري: محمد بن أحمد بن الازهر، ت ٣٧٠هـ/ ٩٨١م، تهذيب اللغة (تحقيق مجموعة من الاساتذة - القاهرة ١٩٦٤م) ١٤/ ٣٠٢، ابن منظور: لسان العرب ٣/ ٤٣٤ (متن).

(٢) الطيبي: الحسين بن محمد بن عبد الله ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م، الخلاصة في أصول الحديث، تحقيق صبحي السامرائي، مطبعة الإرشاد - بغداد ١٩٧١م ص ٣٠.

(٣) الطيبي: المصدر السابق ص٣٠، وينظر كذلك السيوطي: تدريب الراوي ١/ ٣٨، الأدلبي: صلاح الدين أحمد، منهج نقد المتن عند علماء الحديث، الطبعة الأولى، دار الافاق الجديدة - بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص ٣٠.

(٤) ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ١٢٦ (تقديم الدكتور بشار).

(٥) النقد الداخلي يتناول روايات النص لفهم معناها، وقدر اتجاهات مؤلفها ومدى تسرب الخطأ إليها أو تأثير التشيع فيها. ينظر قسطنطين زريق: نحن والتاريخ ص ٧١، اسد رستم: مصطلح التاريخ ص ٤٩.

- النقد السلبي للنزاهة، ويقابله البحث في ظاهرة الوضع عند الرواة.
- النقد السلبي للدقة، ويقابله البحث في ظاهرة الوهم عند الرواة[١].

بين نقد السند والمتن:

١ـ اتهام المستشرقين، علماء المسلمين بإهمال نقد المتن:

على الرغم من إشادة أغلب المستشرقين بعلم الحديث، ونقد السند، فإن أغلبهم وجماهيرهم العظمى، دأبوا في انتقاد علماء المسلمين بإهمال نقد المتن، وسار على درب هؤلاء ناس ينتمون إلى الإسلام، وأخذوا يرددون ما يقوله أعداء الإسلام دون إمعان النظر فيما كتبه لنا أسلافنا من أئمة الحديث والفقه والأصول، والتاريخ في نقد المتن، حتى أصبحت تلك المقولة - إهمال نقد المتن - كأنها مسألة بديهية عند المسلمين.

وأهم وأكبر المستشرقين الذين أشاعوا تلك المقولة هم:

الأمير كاتياني في كتابه (حوليات الإسلام) حيث يقول[٢]: "كل قصد المحدثين ينحصر ويتركز في واد جدب ممحل في سرد الأشخاص الذين نقلوا المروي، ولا يشغل أحد نفسه بنقد العبارة والمتن نفسه ".

ويقول جوزيف شاخت (Joseph Schacht) [٣]: "ومن المهم أن نلاحظ أنهم أخفوا نقدهم لمادة الحديث، وراء نقدهم للإسناد نفسه".

أما جولد تسهير فيقول[٤]: "ومن السهل أن تفهم وجهات نظرهم في النقد ليست كوجهات النظر عندنا تلك التي تجد لها مجالاً كبيراً في النظر، في تلك الأحاديث التي اعتبرها النقد الإسلامي صحيحة غير مشكوك فيها".

---

(١) ينظر الادلبي: المصدر السابق ص ٣٤.

(٢) ينظر ANALEED'LL ISLAM, L. CAIETANI. P، وينظر كذلك مجموعة من المستشرقين: دائرة المعارف الإسلامية، ٣/ ٤٩٥ (مادة أصول).

(٣) المصدر نفسه ٣/ ٤٩٥ (مادة أصول).

(٤) جولد تسهير: العقيدة والشريعة، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين، الطبعة الثانية، مطابع دار الكتاب العربي - مصر ص ٥٠.

ويحاول المستشرق: جون بول، أيضاً الطعن بالمسلمين في إهمال نقد المتن حيث يشير ويشيد باهتمام المسلمين بنقد السند، ويسكت عن نقدهم المتن، لكي يظهر للباحثين أن المستشرقين هم الذين أحدثوا نقد المتن.

يقول[١]: "لا يعد الحديث صحيحاً في نظر المسلمين إلا إذا تتابعت سلسلة الإسناد من غير انقطاع، وكانت تتألف من أفراد يوثق بروايتهم".

ويسلك (غاستون ويت) مسلك (بول) حيث يمدح المسلمين في نقدهم السند، لكنه يقول[٢]: " إلا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن ولذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله ﷺ من غير أن يضيف إليه الرواة شيئاً..... الخ".

ومن التلامذة المقلدين للمستشرقين، محمود أبو رية الضالّ يقول في ذلك[٣]: "والمحدثون قلما يحكمون على الحديث بالاضطراب، إذا كان الاختلاف فيه واقعاً في نفس المتن، لأن ذلك ليس من شانهم من جهة كونهم محدثين... الخ".

ومنهم أيضاً: أحمد أمين، حيث كرر انتقاده لأئمة الحديث في ثلاثة من كتبه[٤] ومما جاء في ضحى الإسلام[٥]: "أنهم لم يتعرضوا كثيراً لبحث الأسباب السياسية التي قد تحمل على الوضع... لواتجهوا كثيراً إلى نقد المتن وأوغلوا فيه إيغالهم في النوع لأول (نقد السند) لا نكشفت أحاديث كثيرة وتبين وضعها مثل كثير من أحاديث الفضائل، وهي أحاديث رويت في مدح الأشخاص، القبائل، والأمم، والأماكن تسابق المنتسبون لها إلى الوضع فيها ".

وممن ردد ذلك من الباحثين أيضاً، عبد الحميد العبادي[٦] والدكتور عبد الله فياض[٧].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٧/ ٣٣٥-٣٣٧.

(٢) Historie Generale Des Religions Islam P. 365-366، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٣) أبو ريه: محمود، أضواء على السنة المحمدية، الطبعة الأولى، مطبعة دار التاليف ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م ص ٣٠٠، الأدلبي:منهج نقد المتن عند علماء الحديث ص ١٣.

(٤) ينظر فجر الإسلام، الطبعة الثانية، لجنة التأليف - القاهرة ١٣٥٤هـ ٢/ ٢١٧-٢١٨، ضحى الإسلام ٢/ ١٣٠-١٣٢، ظهرالإسلام ٢/ ٤٨.

(٥) ٢/ ١٣٠-١٣٢.

(٦) ينظر هرنشو: علم التاريخ ص ٤٣ (مقالة العبادي في المقدمة).

(٧) ينظر: التاريخ فكرة ومنهجاً ص ٤٤.

تصدى لرد هؤلاء عدد من علماء المسلمين المعاصرين، وعلى رأسهم الدكتور مصطفى السباعي[١]، والدكتور صبحي الصالح[٢]، وبينوا زيف ومزاعم وادعاء هؤلاء، ونحن سنبين إن شاء الله في ما يأتي بالتفصيل بطلان مزاعم هؤلاء ومذهبهم.

٢ـ الفرق بين نقد السند ونقد المتن:

نقد الإسناد، يحتاج إلى جمع طرق الحديثين، شواهدها، والنظر في أسانيدها، حسب منهج الجرح والتعديل (النقد الإسنادي)، أو استعمال قاعدة التعارض والترجح، وقد يصل بعد ذلك إلى حل التعارض أو لا يصل[٣].

أما الجامع بين نقد السند، ونقد المتن، فإنه يستعين بنقد متن الحديث. إدراك التعارض بين أوله وآخره، على تضعيف تلك الرواية وترجيح أنها من الحديث المقلوب[٤].

٣ـ عدم التلازم بين صحة السند وصحة المتن:

بين أئمة الحديث بأن لا تلازم بين صحة السند وصحة المتن، وضربوا أمثلة كثيرة لبيان ذلك.

قال الأمام العراقي[٥]:

"والحكم بالصحة أو الحسن على الإسناد لا يلزم منه الحكم بذلك على المتن، إذ قد يكون شاذاً أو معللاً".

وسنبين ببعض الأمثلة عدم التلازم بين صحة السند وصحة المتن، على وجه العموم، وإلا فإن بإلقاء نظرة فاحصة على كتب الموضوعات والعلل نجد في كثير من الأحيان أن ما كان باطلاً متنه يكون في سنده مقال[٦].

الأمثلة:

أ- قد يكون السند والمتن صحيحين مثل قوله ﷺ:

---

(١) ينظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٢٣٦ - ٣٧٤.

(٢) ينظر: علوم الحديث ومصطلحه ص ٢٨٣-٢٨٨.

(٣) ينظر الأدلبي: منهج نقد المتن عند علماء الحديث ص ٢٠٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٠٤.

(٥) التقييد والإيضاح ص ٥٨.

(٦) ينظر البشير: ضوابط الرواية عند المحدثين ص٣٩.

(مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ).

ب- أن يكون السند والمتن باطلين، مثل حديث جابر[١]:

" رأيت رسول الله ﷺ وهو يفحج ما بين فخذي الحسين ويقبل زبيبته ويقول: لعن الله قاتلك، قال جابر فقلت: يا رسول الله ﷺ ومن قاتله، قال: رجل من أمتي يبغض عترتي ولا تناله شفاعتي، كأني بنفسه بين أطباق النيران، ترسب تارة وتطفو تارة وأن جوفه ليقول غق غق).

ج- أن يكون السند ضعيفاً والمتن صحيحاً مثل قوله ﷺ[٢]: (مَنْ لا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ..) الحديث.

د- أن يكون المتن باطلاً والسند صحيحاً:

وهذا القسم نادر جداً، وهو الخبر الذي كان بمحضر عدد كبير من الناس فيتفقون على إخفائه، فلا ينفرد به إلا واحد مثل حديث أسماء بنت قيس[٣]:

---

(١) ابن عراق:علي بن محمد الكناني (ت ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ١/ ٤٠٨، ومعنى يفحج: يباعد، وزبيبته: أي ريقه قال بن منظور: وقد زبد شدقاه: اجتمع الريق في صامغيها: واسم ذلك الريق الزبيبتان. وغق غق: حكاية صوت الغليان. ينظر ابن منظور: اللسان ٢/ ٥ (زبب) ، ١٠٠٣ (غقق)، ١٠٥٦ (فحج).

(٢) الطبراني: المعجم الصغير ٢/ ١٣١ (٩٠٧) الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠١م، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الطبعة الثانية، دار الكتاب -بيروت ١٩٦٧م ١/ ٨٧.

(٣) تنزيه الشريعة ١/ ٣٧٨، هذا الحديث تكلم العلماء في سنده طويلاً، لكن لو فرضنا أن الحديث صحيح السند فإن متنه باطل لوجوه:

أ- أن هذه الحادثة حادثة كونية وعالمية عظيمة والشمس ليست ملكا للمسلمين وحدهم، فلو كانت هذه الحادثة صحيحة، لعلم بها:

أولاً: كل المسلمين ولنقلوها ولأشتهرت، لأن الهمم والدواعي متوفرة على نقلها.

ثانياً: أن الأمم المجاورة كالروم، وغيرهم ذكرت ذلك في تواريخها أو تناقلتها شفاهاً، كما ذكر طوفان نوح بين الأمم جميعاً.

ب- ولما غابت الشمس خرج وقت العصر ودخل وقت المغرب وأفطر الصائمون وصلى المسلمون المغرب فلو ردت الشمس للزم تخبيط الأمة في صلاتها وصومها، ولم يكن في ردها فائدة لعلي إذ رجوعها لا يعيد العصر أداء.

ج-من المشهور والصحيح أن رسول الله فاتته صلاة العصر يوم الخندق، وحزن في ذلك وتألم ودعا على

(كان رسول الله ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي ولم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله ﷺ لعلي: أصليت؟ قال: لا، قال رسول الله: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت).

هذا المثال الأخير قد بين لنا بوضوح ما ذهب إليه علماء الحديث بإمكان، جواز الخطأ والنسيان والوهم على الثقة.

كما ذهبوا إلى جواز الصدق من الكاذب.

أما ما ذهب إليه الأستاذ محمد عبد الرزاق حمزة [١] وهو: عدم إمكان تصور النسيان والخطأ في حق الثقات، فهو غير صحيح، لأنهم بشر وقد استدركت السيدة عائشة رضي الله عنها وكثير من الصحابة الآخرين، أوهاماً وقع فيها الثقة من الصحابة فما بالك بمن جاء بعدهم [٢].

وهذا الاحتياط واجب، يقول العلاقة بن القيم [٣]: "خبر الواحد بحسب الدليل الدال عليه فتارة يجزم بكذبه لقيام دليل كذبه، وتارة يظن كذبه إذا كان دليل كذبه ظنياً، وتارة يتوقف فيه فلا يترجح صدقه ولا كذبه إذا لم يقم دليل أحدهما، وتارة يترجح صدقه ولا يجزم به، وتارة يجزم بصدقه جزماً لا يبقى معه شك، فليس كل خبر واحد يفيد العلم ولا الظن... الخ".

وبعد أن تبين أن العلاقة بين صحة السند وصحة المتن مشروط، فيلزم لصحة المتن صحة السند، لكن لا يلزم من صحة السند صحة المتن [٤].

٤ـ الكلام على السند هو الكلام على المتن:

إن من المعلوم لدى المتتبعين، لعلم الحديث، أن جهود أئمة الحديث كانت منصبة على السند والمتن معاً، من حيث القبول والرد، ففي حالة القبول يدرسون الصحيح والحسن.

==

المشركين، فلو ردت لعلي لكان ردها يوم الخندق للنبي ﷺ أولى، وهذا لم يحدث. ينظر: ابن عراق المصدر نفسه ١/ ٣٧٩-٣٨٠.

(١) ينظر: ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية ص ٢٨٤.

(٢) ينظر الزركشي: بدر الدين، محمد بن بهادر(ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م) الإجابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق سعيد الأفغاني، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٣٥٩-٣٦٠ وينظر كذلك الأدلبي:منهج نقد المتن عند علماء الحديث ص ٣٥٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ٣٥٥.

وفي حالة الرد يدرسون التضعيف والموضوع.

ربما كان البحث في نقد المتن عسيراً، لكون مسائله مفرقة غير مبوبة، وهذا بعكس نقد السند حيث أن أبوابه مجموعة ومبوبة في كتب الرجال، والجرح والتعديل، والتاريخ، والطبقات وغيرها، ولذا توهم بعض الناس بأن أئمة الحديث لم يعنوا بالمتن عنايتهم بالسند[١].

بإمكاننا أن نقول وبملء فينا، أن كل أقسام الحديث، من صحيح، أو حسن، أو ضعيف- معرض - عدا المتواتر لا ينظر فيه إلى إسناده فهو فوق ذلك لذا هو ليس من مباحث الإسناد - إلى نقد السند ونقد المتن، كما أن أئمة الحديث عنوا بذلك عناية بالغة، فمن المعلوم لدى الباحثين بهذا الشأن، أن قسمي الصحيح والحسن، قضية مشتركة، تتناول السند والمتن معاً، أو السند دون المتن، أو المتن دون السند.

أما المتواتر فإنه ينظر فيه إلى متنه، لأنه ليس من مسائل الإسناد.

وتجرد الصحيح لذاته من العلة والشذوذ كما يكونان في السند، كثيراً ما يكونان في المتن[٢].

وما قيل في الصحيح لذاته، يقال في العلة[٣]، وكذلك في أكثر أنواع الضعيف تتضح مسألة المتن[٤].

إن من تدبر (شروط الراوي) وتعمق في فهمها، ليرى بأم عينه أن تشدد النقاد في شروط الراوي ليس إلا وسيلة لتزكية الخبر المروي (المتن).

وقبل بيان التفصيل للأبواب المشتملة على السند والمتن معاً، ننقل كلاماً طيباً للدكتور صبحي الصالح حيث يقول في رده على المستشرقين[٥]: "على أننا لن نرتكب الحماقة التي لا يزال المستشرقون وتلامذتهم المخدوعون بعلمهم (الغزير) يرتكبونها كلما تعرضوا للحديث النبوي، إذ يفصلون بين السند والمتن مثلما يفصلون بين خصمين لا يلتقيان أو ضرتين لا تجتمعان فمقاييس المحدثين في السند لا تفصل عن مقاييسهم في المتن إلا على سبيل التوضيح والتبويب، والتقسيم

---

(١) ينظر صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ٢٧٨، الأدلبي: المصدر السابق ٣٥٥.

(٢) ينظر المصدران السابقان: ص ٢٧٨-٢٧٩، ص ١٩١-١٩٢.

(٣) ينظر فصل العلل حيث تجد أن البحث يتناول السند والمتن معاً.

(٤) ينظر صبحي الصالح: المصدر السابق ٢٧٩.

(٥) صبحي الصالح: المصدر نفسه ص ٢٨٣.

obeikandl.com

وإلا فالغالب على السند الصحيح أن ينتهي بالمتن الصحيح، والغالب على المتن المعقول المنطقي الذي لا يخالف الحسن أن يرد عن طريق سند صحيح ".

الأدلة على أن المحدثين عندهم المتن والسند متداخل، ولم يعرفوا التفريق بينهما:

أ- الشاذ: وهو ما رواه مخالفاً لرواية من هو أولى منه، لا أن يروي ما لا يروي غيره[١] ويسمى مقابله في علم الحديث بالحديث المحفوظ.

وبمجيء الحديث من طريق آخر أصح، يتبين أن الرواية الشاذة قد وهم فيها أحد الرواة، وما انفرد به هذا الراوي يعتبر شاذاً ومردوداً وهذه مسألة تتعلق بالمتن[٢].

مثال لذلك ما رواه الحاكم عن بن عباس قال [٣]: (في كل أرض نبي كنبيكم، وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى وقال صحيح الإسناد).

قال السيوطي[٤]: "ولم أزل أتعجب من تصحيح الحاكم له، حتى رأيت البيهقي قال: إسناده صحيح، ولكنه شاذ بمرة".

ب- **المنكر**: هو ما انفرد به من ليس بثقة ولا ضابط، ويسمى مقابله (المعروف)[٥]، أو كما يقول العلامة جمال الدين القاسمي [٦] : "الحديث الفرد الذي لا يعرف متنه من غير راويه، وكان راويه بعيداً عن درجة الضابط ".

مثاله: ما رواه النسائي وابن ماجه عن عائشة مرفوعا[٧]: (كُلُوا الْبَلَحَ بِالتَّمْرِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَقُولُ عَاشَ ابن آدَمَ حَتَّى أَكَلَ الْجَدِيدَ بِالْخَلِقِ).

---

(١) ينظر الهروي: محمد بن محمد الحنفي - فصيح الهروي - (ت ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م) جواهر الأصول في علم حديث الأصول، تحقيق أبو المعالي أطهر المباركفوري، طبعة بومباي - الهند ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ص ١٠٢.

(٢) ينظر الأدلبي: منهج نقد المتن ص ١٩٢-١٩٣، البشير: ضوابط الرواية عند المحدثين ص ٤٢.

(٣) المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ٢/ ٥٣٥ (٣٨٢٢).

(٤) تدريب الراوي ١/ ٢٣٣.

(٥) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ٣٧-٣٨، الهروي: جواهر الأصول ص ٤٧.

(٦) قواعد التحديث ص ١٣١.

(٧) النسائي: السنن ٤/ ١٦٦ (٦٧٢٤) ابن ماجه: السنن ٢ / ١١٠٥ (٣٣٣٠).

قال القاضي زكريا الأنصاري[١]: "فهذا الحديث منكر كما قاله النسائي وابن الصلاح وغيرهما، وراويه أبو زكير[٢] تفرد به وهو لم يبلغ رتبة من يحتمل تفرده، ولأن معناه ركيك لا ينطبق على محاسن الشريعة، لأن الشيطان لا يغضب من مجرد حياة بن آدم، بل من حياته، مسلماً مطيعاً لله ".

ج- المُعَلّ[٣].

د- **المضطرب**: هو الذي يختلف الرواة فيه، فيرويه بعضهم على وجه وبعضهم على وجه مخالف له، ويقع الاضطراب تارة في الإسناد، وفي المتن أخرى، وفيهما، من راو واحد أو أكثر[٤].

مثاله: حديث فاطمة بنت قيس قالت: سألت أو سئل رسول الله عن الزكاة فقال[٥]: (إِنَّ فِي الْمَالِ لَحَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ).

وعنها أنها سمعته تعني النبي يقول[٦]: (لَيْسَ فِي الْمَالِ حَقٌّ سِوَى الزَّكَاةِ).

هـ- المدرج[٧].

و- **المصحّف**: وهو تغيير لفظ أو معنى، والتصحيف نوعان:

إما تصحيف سمع أو بصر ويكون في المتن والسند فهذه ستة أقسام[٨].

ونكتفي هنا بمثالين فقط:

مثال: تصحيف لفظي، بصراً، في السند حديث شعبة، عن العوام بن مراجم[١] عن أبي

---

(١) الأنصاري:زكريا بن محمد بن زكريا ت ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م، فتح الباقي على ألفية العراقي، طبعة فاس ١٣٥٤هـ - ١/ ١٩٨.

(٢) يحيى بن محمد بن قيس، ضعيف يكتب حديثه توفي (بحدود ٢٠٠هـ) ينظر مسلم بن الحجاج: الكنى والأسماء، تحقيق عبد الرحيم محمد، الطبعة الأولى، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة ١٤٠٢هـ ١/ ٣٥١ (١٢٦٣)، الذهبي: المقتنى في سرد الكنى، تحقيق محمد صالح المراد، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة ١٤٠٤هـ ١/ ٢٤٩ (٢٣٦٣)، سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٩٦ - ٢٩٩.

(٣) ينظر: فصل العلل وقد تكلمنا بالتفصيل عن ذلك.

(٤) ينظر الهروي: المصدر السابق ص ٥٠.

(٥) الترمذي: السنن ٣/ ٤٨ (تحقيق أحمد شاكر، دار إحياء التراث - بيروت).

(٦) ابن ماجه: السنن ١/ ٥٧٠، البيهقي: السنن الكبرى ٤/ ٨٤ (٧٠٣٤).

(٧) ينظر التفصيل ص ٤٠١.

(٨) الهروي: جواهر الأصول ص ٣٥.

عثمان النهدي[٢]، عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ[٣]: (لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إلى أَهْلِهَا) الحديث.

صحّف فيه ابن معين فقال: ابن مزاحم[٤].

مثال: تصحيف لفظي بصراً في المتن، حديث ابن لهيعة عن كتاب موسى بن عقبة[٥] إليه بإسناده عن زيد بن ثابت[٦] أن رسول الله ﷺ: (احْتَجَمَ فِي الْمَسْجِدِ)[٧].

والصحيح إنما هو بالراء (احْتَجَرَ رسولُ الله ﷺ حُجَيْرَة بِخَصَفَة أو حَصير في المسجد)[٨]،

==

(١) من بني قيس لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر ابن حبان: الثقات ٧/ ٢٩٨ - ٢٩٩ (١٠١٦٢)، الحسيني: محمد بن علي بن الحسن (ت ٧٦٥هـ/ ١٣٦٤م) الإكمال للحسيني، تحقيق عبد المعطي أمين قلعه جي، جامعة الدراسات الإسلامية - كراتشي ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ١/ ٣٢٦ (٦٧٦).

(٢) عبد الرحمن بن مل البصري، تابعي كبير، أدرك عهد النبي ﷺ، كان صواما قواما، يصلي حتى يغشى عليه، ثقة ثبت توفي (بين ٩٥ -١٠٠هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٦٥ -٦٦ (٥٦)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٢٣٥.

(٣) تكملة الحديث (يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء تنطحها)، رواه مسلم، ينظر (شرح صحيح مسلم ١٦/ ١٣٦)، الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الحافظ (ت ٢٩٧هـ/ ٩١٠م، الجامع الصحيح) تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م ٤/ ٥٣٠ (٢٤٢٠).

(٤) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ١٤٠-١٤١، وينظر تصحيفين كان سببهما البصر، الصولي: إبراهيم بن العباس بن محمد (ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م) أدب الكتاب - تحقيق محمد بهجة الأثري، مطبعة المكتبة السلفية - القاهرة ١٣٤١م ص ٥٩.

(٥) موسى بن عقبة بن أبي عياش مولى الزبير، صاحب المغازي (ت ١٤١هـ) ينظر ترجمته ابن حبان: الثقات ٥/ ٤٠٤-٤٠٥، الربعي: محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م) تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق عبد الله أحمد، الطبعة الأولى، دار العاصمة - الرياض ١٤١٠هـ ١/ ٣٣١، الذهبي: طبقات المحدثين، تحقيق همام عبد الرحيم، الطبعة الأولى، دار الفرقان -عمان ١٤٠٤هـ ١/ ٥٧ (٥٤٥).

(٦) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري، صحابي جليل، جمع القرآن في عهد الصديق (ت ٤٥هـ) على الأكثر، ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٥٥١ - ٥٥٤، ابن حجر: الإصابة ١/ ٥٦١ - ٥٦٢ (٢٨٨٠).

(٧) مسند أحمد ٣٥/ ٤٨٤ (٢١٦٠٨).

(٨) رواه البخاري ينظر الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ١/ ٢٦٢ (٦٩١)، (فتح الباري ٢/ ٢١٤ (٧٣١).

فصحفه بن لهيعة لكونه أخذه من كتاب بغير سماع[١].

ز- **المقلوب**: هو الحديث الذي أنقلب فيه على أحد الرواة لفظ المتن، أو اسم رجل أو نسبه في الإسناد، فقدم ما حقه التأخير، أو أخر ما حقه التقديم، أو وضع شيئاً مكان شيء[٢] وقد يكون في السند، كما يكون في المتن[٣].

مثال المقلوب في السند كحديث مشهور عن (سالم)[٤] جعل عن (نافع)[٥] ليصير بذلك مرغوباً فيه.

مثال المقلوب في المتن: مثل حديث[٦] السبعة الذين يظلهم الله في ظله.

ورد في رواية مسلم[٧]:

(وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ).

وإنما هو[٨]: (حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ) فقد تم القلب في رواية مسلم[٩].

---

(١) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٤١.

(٢) ينظر صبحي الصالح:علوم الحديث ومصطلحه ص ١٩١، وقد أخذت التعريف منه، لأنه تعريف جامع.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ١٩١، البشير: ضوابط الرواية ص ٤٦.

(٤) سالم بن عبد الله بن عمر ﷺ، أحد الفقهاء السبعة، ثقة (ت ١٠٦هـ) ينظر ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٢٨٠ (١١)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ١٣١.

(٥) نافع بن جبير بن مطعم النوفلي، ثقة فاضل (ت ٩٩هـ) ينظر المصدران السابقان: ٢/ ٢٩٥ (١٥)، ص ٣٩٩.

(٦) نص رواية البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، أمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، و رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: أني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)، (فتح الباري ٣/ ٢٩٢ - ٢٩٣ (١٤٢٣).

(٧) صحيح مسلم ٦/ ٣٨١ (٢٤٢٧)، (شرح صحيح مسلم ٧/ ١٢٠-١٢٢).

(٨) صحيح البخاري ٥/ ٣٨٢ (١٣).

(٩) ابن الوزير: محمد بن إبراهيم بن علي (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م) تنقيح الأنظار في علوم الآثار، مطبعة السعادة، ١٣٦٦هـ ٢/ ١٠٦.

نقد المتن عند أئمة الحديث:

١ـ صعوبة البحث في الموضوع:

الكلام في مسألة النقد هي من أخطر وأصعب المسائل التي تواجه المحدث[١]، وخاصة نقد المتن، حيث لا يجوز لكل أحد أن يتكلم في هذا المجال الدقيق إلا الناقد البصير، والمتمرس الخبير.

من أفضل نعم الله تعالى على البشر هو تكريمه إياهم بالعقل، وتمييزهم على سائر المخلوقات بتلك الخصيصة، بل إنه جل وعلا جعل مدار التكليف الشرعي في الإنسان على العقل، وأن المجنون غير مخاطب بالحكم الشرعي[٢].

لكن هذا ليس معناه إطلاق العنان للعقل، بأن يَرُدّ الحديث لأدنى تعارض، أو استبعاد، أو عدم موافقة للعقل بوجه من الوجوه، لأنه لا يمكن في الحقيقة أن يكون ثمة تعارض بين صريح المعقول، وصحيح المنقول[٣]، ومنهج المسلم في ذلك هو كبح جماح العقل، حتى يكون تابعاً لما جاء به[٤] النبي ﷺ، لا أن يكون ما جاء به تابعاً لهواه، كما ينبغي على المسلم أيضاً عدم إلغاء العقل وعدم تعطيله، كي لا ينتقد حديثاً إلا على هدى من الله وبصيرة من العقل[٥].

إن أئمة الحديث تكلموا في نقد المتن[٦]، ولكن قلما يتكلمون في أصولها ومناهجها بخلاف النقد الإسنادي، بل يكتفون بالجانب العلمي، وهذا دليل على صعوبة التعبير عن هذا الموضوع ومنهجه[٧].

---

(١) ذهب الأمام بن الصلاح الشهرزوري، إلى التوقف في مسألة التصحيح والتضعيف في عصره، ينظر السيوطي: تدريب الراوي ١/ ١٤٩.

(٢) ينظر الزيدان: عبد الكريم الزيدان: الوجيز في أصول الفقه، الطبعة السادسة، الدار العربية للطباعة – بغداد ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ص ٦٧، ٧١.

(٣) ينظر ابن تيمية: موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، المطبعة الأميرية، بولاق – مصر ١٣٢١هـ (مطبوع بهامش منهاج السنة).

(٤) ينظر ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٢٨٩.

(٥) ينظر الأدلبي: منهج نقد المتن ص ١٦.

(٦) روزنثال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة – بيروت ١٩٦١ ص٩٤، وأن أئمة الفقه وأصوله تكلموا في ذلك بشكل جيد ينظر الفصل السابع منه.

(٧) ينظر الأدلبي: المصدر السابق ص ٢٠.

روى الرامهرمزي: بإسناده أن عبد الرحمن بن مهدي تكلم على حديث، فقام إليه خراساني فقال له[١]:

من أين قلت؟ قال: إذا أتيت الصراف بدينار فقال لك: هو بهرج[٢]، تقدر أن تقول له من أين قلت؟[٣].

وروى بإسناده عن الربيع بن خيثم قال[٤]:

"إن من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار، وأن من الحديث، حديثاً له ظلمه كظلمة الليل".

وقيل لشعبة[٥]: من أين تعلم أن الشيخ يكذب؟ قال: إذا روى عن النبي ﷺ (لا تأكلوا القرعة حتى تذبحوها) علمت أنه يكذب.

من صعوبة هذا البحث هو أنه لا ينحصر في باب أو أبواب معينة من كتب الحديث، ولا في نوع من أنواعها، كالبحث في الحديث المرسل أو الحديث الحسن مثلاً، وإنما يحتاج إلى تتبع الإشارات عنه من جميع الأبواب، والكتب المصنفة في الحديث والمصطلح، والرجال وغيرها، بل يمكن القول بأن هذا البحث بحث مقارن متشعب، يحتاج إلى طول وقت، وتمرس بكتب الحديث، وأن يعيش الباحث مع هذا البحث سنوات وسنوات[٦].

لعل أن أول من أفرد بالتأليف في هذا الباب هو الأمام ابن القيم، قي رسالته المسماة (المنار المنيف)[٧].

---

(١) هو الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد، أحد الأئمة الحفاظ الأعلام صاحب كتاب - المحدث الفاصل بين الراوي والواعي - (ت ٣٦٠هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٠٥ -٩٠٧ (٨٧٠)، ابن عماد: شذرات الذهب ٣/ ٣٧.

(٢) بهرج: يقال درهم بهرج أي رديء، ينظر الرازي: مختار الصحاح ص٦٧ (ب هـ رج).

(٣) المحدث الفاصل ص ٣١٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٣١٦، الحاكم:معرفة علوم الحديث ص ٦٤، الخطيب: الكفاية ص ٦٠٥.

(٥) ينظر الرامهرمزي: المصدر السابق ص ٣١٦.

(٦) ينظر الادلبي: المصدر السابق ص ٢١ -٢٢.

(٧) ينظر الادلبي: منهج نقد المتن ص ٢٢، وينظر كذلك ابن القيم: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ص ٤٣ - ١١٥.

اشترط العلماء شرطين لصحة المتن:

أ - أن لا يكون الحديث شاذاً.

ب- أن لا يكون الحديث معلاً.

٢- نقد المتن عند الصحابة:

إن الصحابة ﷺ هم النقلة المباشرون للروايات عن النبي ﷺ فمنهم من يسمع الحديث من فمه الشريف ﷺ، ومنهم من يأخذه بواسطة غيره من الصحابة، وقد يروي بعضهم عن بعض، ثم ينسبه إلى رسول الله ﷺ بلا تحرج، وذلك كما بينا أن الصحابة كلهم عدول لا يتهمهم في الكذب على رسول الله ﷺ إلا زنديق.

وهذا النوع يسمى بمصطلح أهل الحديث (مراسيل الصحابة)، وهي مقبولة.

لكن الصحابي كما ذكرنا سابقاً بشر، قد يخطيء ويتوهم لذا قد يقع للصحابي أن يسمع من صحابي آخر عن النبي ﷺ حديثاً، فيراه لا ينسجم مع ما فهمه من القرآن الكريم، أو ما سمعه من النبي ﷺ، وحينئذٍ يتوقف هذا الصحابي في هذا الحديث، أو ينكره، توقعاً منه على سهو الناقل وخطئه ووهمه[١].

ويمكن أن نجمل أسباب الوهم التي تقع للصحابة بما يلي:

أ - أن يحدث بما سمعه من النبي ﷺ ولا يدري أنه منسوخ.

ب- أن يقع له قلب بين لفظين، فيجعل كل واحد منهما، مكان الآخر وهو (المقلوب).

ج- أن يزيد مع الحديث قولاً من عنده، متصلاً بالحديث، فيظنه السامع أنه مرفوع وهو (المدرج).

د- أن يحمل الحديث من المعنى أكثر مما يتحمله.

هـ- أن لا يضبط لفظ الحديث بحيث يختلف المعنى.

و- أن يروي الحديث على غير وجه لغفلته عن سبب الورود.

ز- أن يقع له غلط، فيروي واهماً عن النبي ﷺ ما لم يسمعه منه[٢].

---

(١) ينظر الادلبي: المصدر السابق ص ١٠٥.

(٢) ينظر البشير: ضوابط الرواية ص ٤١ وما بعدها، الأدلبي: منهج نقد المتن ص ١٠٦ وما بعدها.

ونورد في هذا المبحث بعضاً من ردود الصحابة بعضهم على البعض، فيما يتعلق بنقد المتن، وليس مجرد تصحيح كلمة، أو تذكير بمنسي، لأن هذا باب واسع لا نستطيع استيعابه هنا.

والذي نورده هنا اجتهاد صحابي، قد يكون محقاً في رده لذلك المتن، أو لا، لأن ما يراه أحد المجتهدين مخالفاً، للقرآن، أو العقل أو السنة، قد لا يراه مجتهد آخر كذلك، وقد يسمع أحدهم نقد غيره لروايته فيرجع عما روى، ويعتبر نفسه مخطئاً، وقد لا يرجع عن ذلك إذا غلب على ظنه أو تأكد له، بأنه غير واهم.

ونحن نذكر هنا (نقد المتن) لبعض كبار الصحابة فقط ﷺ لكونه بداية أولية لنقد المتن وإلا لطال بنا المقام وهذا ليس مجاله.

نقد المتن عند أم المؤمنين عائشة ﷺ:

السيدة عائشة ﷺ معروفة بذكائها وفهمها، وكثرة روايتها عن النبي ﷺ وكيف لا، وقد انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ورأسه في حجرها، وكيف لا وقال عنها ﷺ (خُذُوا شَطْرَ دِينِكُمْ عَنِ الْحُمَيْرَاءِ)[١].

من ذلك نقدها للحديث (إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ)[٢].

انتقدت السيدة عائشة، أبا هريرة ﷺ في هذا الحديث وقالت: إن الحديث لم يكن هكذا، ولكن رسول الله ﷺ مر بدار رجل من اليهود، قد مات، وأهله يبكون عليه، وأنه قال[٣]: (أنهم لَيَبْكُونَ

---

(١) الزركشي: الإجابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص٦١-٦٢. وينظر كذلك ابن القيم: المنار المنيف ص٦٠ هامش٢، قال أئمة الحديث كل حديث ورد فيه الحميراء ضعيف أو موضوع، لكن هناك حديثان صحيحان جزم بعض أئمة الحديث بصحة إسنادهما، ينظر الحاكم: المستدرك ٣/ ١٢٦، الكناني: أحمد بن أبي بكر (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٣م) مصباح الزجاجة، الطبعة الثانية، دار العربية - بيروت ٣/ ٨٢، ابن حجر: فتح الباري ٢/ ٤٤٤، والحديثان هما (خروج بعض نساء النبي ...وحديث لعب الحبشة) كما أن الحافظ ابن حجر صحح معنى الحديث: خذوا ثلث دينكم من بيت حميراء، ينظر العجلوني: كشف الخفا ١/ ٤٥٠، وينظر أقوال العلماء في تضعيف كل حديث ورد فيه الحميراء، ابن الجوزي: المصنوع ١/ ٢١١ - ٢١٢، ابن القيم: محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) نقد المنقول، تحقيق حسن السماعي، الطبعة الأولى، دار القادري - بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩٠ م ١/ ٥٠ -٥١، السيوطي: شرح سنن ابن ماجه، قديمي كتب خانه - كراتشي ١/ ١٧٨.

(٢) ابن ماجه: السنن ١/ ٥٠٨ (١٥٩٣-١٥٩٤)، الترمذي: السنن ٣/ ٣٢٨ - ٣٢٩ (١٠٠٦).

(٣) مسند أحمد ٤٣/ ٤١٢ (٢٦٤٠٨) ابن ماجه: المصدر السابق ١/ ٥٠٨ - ٥٠٩ (١٥٩٥)، الترمذي: المصدر السابق ٣/ ٣٢٨ - ٣٢٩ (١٠٠٦).

عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَيُعَذَّبُ) واستدلت بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

إن أبا هريرة لم ينفرد بهذه الرواية، بل شاركه فيها كل من أمير المؤمنين عمر ﷺ، وعبد الله ابنه[١]، والمغيرة بن شعبة، وأبو موسى الأشعري[٢] ﷺ بلفظ (إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أهله عَلَيْهِ)[٣].

وكذلك ردت على عمر ﷺ وقالت: رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله ﷺ: (أن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه)، ولكن رسول الله ﷺ قال[٤]: (إِنَّ الله لَيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أهله عَلَيْهِ وَقَالَتْ: حَسْبُكُمُ الْقُرْآنُ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥].

وهي ﷺ لم تتهم الصحابة لذلك قالت: واعتذرت لهم: أنكم لتحدثونني عن غير كاذبين، ولا مكذبين، ولكن السمع يخطيء[٥].

وقالت أيضاً في حق عبد الله بن عمر: غفر الله لأبي عبد الرحمن، أما أنه لم يكذب ولكن نسي أو أخطأ، وصرحت بنسبته للوهم والوهل[٦].

---

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ، أسلم مع أبيه صغيرا، من خيرة الصحابة وفقهائها (ت ٨٤هـ) ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٣٤١ -٣٤٦، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٤٧ -٣٥٠ (٤٨٣٤).

(٢) عبد الله بن قيس بن سليم، من كبار الصحابة، اختلف في وفاته بين (سنة ٤٢ - ٥٣هـ)، ينظر المصدران نفسيهما: ٢/ ٣٧١ - ٣٧٣، ٢/ ٣٥٩ - ٣٦٠ (٤٨٩٨).

(٣) رواه البخاري ومسلم ينظر: صحيح مسلم ٦/ ٧٥ (٢١٨١)، (فتح الباري ٣/ ١٥١ (١٢٨٦ - ١٢٨٧)، (شرح صحيح مسلم ٦/ ٢٣٢ - ٢٣٥).

(٤) الأدلبي: منهج نقد المتن ص ١١٣-١١٤، واستدلت السيدة عائشة ﷺ بأن النبي ﷺ قد بكى على جماعة من الموتى وأقر الصحابة على ذلك، وكان ﷺ رحمة للعالمين، فمحال أن يفعل ما يكون سبباً لعذابهم أو يقر عليه، وهو مذهب طائفة كبيرة من السلف والخلف وتنوعت طرقهم في تلك الأحاديث الصحيحة فمنهم من غلط رواة الحديث مثل: عائشة والشافعي، ومنهم من حمل ذلك على ما إذا أوصى به كالمزني وغيره، ومنهم من حمل ذلك على ما إذا كانت عادتهم، لكن لشيخ الإسلام رأياً مغايراً لهذه الآراء وملخصه: أن الحديث لم يقل يعاقب، بل يعذب، والعذاب أعم من العقاب فإن العذاب هو الألم وليس كل من تألم بسبب كان ذلك عقاباً له على ذلك السبب، ينظر الزركشي: الاجابة ص ١٠٢-١٠٣، ابن تيمية: مجموع الفتاوي، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة المعارف - الرباط ٢٤/ ٣٦٩-٣٧٤.

(٥) ينظر النووي: المصدر السابق ٦/ ٢٣٢، ٢٣٤، النسائي: سنن النسائي، دار إحياء التراث العربي - بيروت ٤/ ١٨-١٩ (١٠٠٢ -١٠٠٦).

(٦) رواه البخاري ومسلم (فتح الباري ٣/ ١٥٠ -١٦٠)، (المصدر السابق ٦/ ٢٣٢ - ٢٣٤، أبو داود: السنن ٣/ ١٩٠ (٣١٢٩).

نقد المتن عند أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه.

روت فاطمة بنت قيس[١]، أن زوجها أبا عمرو بن حفص[٢] خرج مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن، فأرسل إليها بآخر تطليقة كانت قد بقيت من طلاقها، وأمر بعض أقاربه بأداء شيء من النفقة إليها فقالوا لها: مالك نفقة إلا أن تكوني حاملاً، فأتت النبي ﷺ فذكرت لهم قولهم، فقال لها[٣]: (لاَ نَفَقَةَ لَكِ وَلاَ سُكْنَى)

وقد ردّ سيدنا عمر رضي الله عنه هذه الرواية وكان يقول: لا ندع كتاب الله وسنة نبينا بقول امرأة لا ندري أحفظت أم نسيت؟. وقد كان عمر رضي الله عنه يجعل للمطلقات ثلاثاً السكنى والنفقة[٤].

أما قوله عمر لا ندع كتاب الله، فإنه كان يشير إلى قوله تعالى: ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ ﴾ [الطلاق: ١].

وهي في الرجعية أما الآية الثانية فإنها تعم الرجعية وغيرها وهي قوله تعالى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ ﴾ [الطلاق: ٦].

و أما قوله (وسنة نبينا) هو أنه رضي الله عنه سمع النبي ﷺ يقول[٥]: (لها السكن والنفقة).

---

(١) فاطمة بنت قيس بن خالد القرشية، وهي من المهاجرات الأوائل وفي بيتها اجتمع أهل الشورى، لما استشهد عمر رضي الله عنه، لم أقف على تاريخ وفاتها، ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ٣٨٣، ابن حجر: الإصابة ٤/ ٣٨٤ (٨٥١).

(٢) أبو عمرو بن حفص بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، اختلف في اسمه قيل أحمد، وقيل عبد الحميد، وقيل اسمه كنيته، صحابي شهد فتوح الشام لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر المصدران السابقان: ٤/ ١٢٣ - ١٢٤، ٤/ ١٣٩ (٨٠١).

(٣) رواه مسلم ٩/ ٤٤٦ (٣٧٧٧١١١)، (شرح صحيح مسلم ١٠/ ٩٤ - ١٠٧)، أبو داود: المصدر السابق ٢/ ٢٩٤ -٢٩٨ (٢٢٨٤ - ٢٢٩٦)، الترمذي: السنن ٣/ ٤٨٤ -٤٨٥ (١١٨٠).

(٤) رواه مسلم ينظر النووي: (المصدر السابق ١٠/ ٩٤ -١٠٧)، أبو داود: المصدر السابق ٢/ ٢٩٤ -٢٩٨، لكن الإمام مسلم جعل (لا نترك كتاب الله وسنة نبينا) من قول الأسود بن يزيد، وهو التابعي الراوي لهذا الأثر، كما بينته رواية أبي داود، ينظر النووي: المصدر نفسه ١٠/ ١٠٤، أبو داود: المصدر السابق ٢/ ٢٩٧ (٢٢٩١).

(٥) ابن التركماني: علاء الدين، علي بن عثمان بن إبراهيم (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) الجوهر النقي، دار الفكر - بيروت (مطبوع بذيل السنن الكبرى للبيهقي) ٧/ ٤٧٦.

وأن السيدة عائشة ﵂ أيضاً انتقدت فاطمة على ذلك [١].

ولعل سببه وهمها في نفيها السكنى، هو أنها استأذنت النبي ﷺ في الخروج من بيت الزوجية، لعذر، فأذن لها. سألته أين تنتقل، فأشار عليها بالانتقال إلى بيت ابن أم مكتوم[٢] وكان أعمى، فلا يراها إذا وضعت ثيابها [٣].

ولعلها لما فهمت ظناً أو نسيانا أنه لا حق لها في السكنى، قرنت بذلك أنه لاحق لها في النفقة[٤].

نقد المتن عند أمير المؤمنين علي ﵁.

سئل ابن مسعود ﵁ عن رجل تزوج امرأة، فمات عنها قبل أن يدخل بها، وإن يفرض لها صداقا، فقال:

(مثل صداق نسائها لا وكس ولا شطط[٥] وعليها العدة، ولها الميراث) فقام معقل بن سنان الأشجعي[٦]، فقال: قضى رسول الله ﷺ في بَرْوَعَ بِنْتِ وَاشِقٍ[٧]، امرأة منا مثل الذي قضيت، ففرح بذلك ابن مسعود، لأنه أخبر أن فتواه وافقت فتوى رسول الله ﷺ [٨].

---

(١) ينظر النووي: (شرح صحيح مسلم ١٠/ ١٠٦ - ١٠٧)، أبو داود: السنن ٢/ ٢٩٧ (٢٢٩٣).

(٢) عمرو بن قيس وقيل عبد الله، واسم أمه عاتكة وتكنى أم مكتوم، من أوائل الصحابة، وكان ضريرا، وقد خلفه رسول الله ﷺ على المدينة في عامة غزواته توفي في عهد عمر ﵁، ينظر: ابن الجوزي: صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، الطبعة الثانية، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م ١/ ٥٨٢ - ٥٨٤ (٦٣)، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٥٢٣ -٥٢٤ (٥٧٦٤).

(٣) ينظر النووي: (المصدر السابق ١٠/ ١٠١).

(٤) ينظر الأدلبي: منهج نقد المتن ص ١٣٥، هناك تحقيق جيد حول نفقة المعتدة، ينظر: الصابوني: الدكتور عبد الرحمن: مدى حرية الزوجين في الطلاق في الشريعة الإسلامية، الطبعة الثانية، دار الفكر ١٩٦٨ م ١/ ٢٧٣ هامش ١.

(٥) الوكس: النقص، والشطط: الجور، ينظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، الطبعة الثانية، دار الفكر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م ٤/ ٢٤١.

(٦) معقل بن سنان بن مظهر الأشجعي، روى عنه جماعة من التابعين (ت ٦٣هـ) ينظر ابن حجر: الإصابة ٣/ ٤٤٦ (٨١٣٦)، تقريب التهذيب ٢/ ٢٦٤ (١٢٧١).

(٧) الرواسية، زوج هلال بن مرة، لم أقف على وفاتها، ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ٢٥٥، ابن حجر: الإصابة ٤/ ٢٥١ (١٧٤).

(٨) ينظر أبو داود: السنن ٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤ (٢١١٤ - ٢١١٦)، الترمذي: السنن٣ / ٤٥٠ -٤٥١ (١١٤٥)، النسائي: السنن٦ / ١٢١ -١٢٣.

لا خلاف بين العلماء، أن عليها العدة، ولها الميراث، لكن الخلاف هو هل أن لها صداق المثل أم لا ؟[١].

ذهب إلى الأول ابن مسعود، وإلى الثاني علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت[٢].

ورد سيدنا علي خبر معقل وقال:

(لا يقبل قول أعرابي من أشجع على كتاب الله[٣] واستند علي ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

ففي هذه الآية، أن المطلقة قبل الدخول وقبل الفرض لها لا تستحق الصداق، وهذا بالإجماع، فالظاهر أن المتوفي عنها كالمطلقة، بل ربما كان حكمها كذلك من باب أولى، لأن المطلق قد رجح مفارقتها باختياره، وليس كذلك المتوفي، وأقل ما في الأمر، أن كلاً منها فراق في نكاح، قبل الفرض، وقبل الدخول، فالواجب والمأمور به هو الإمتاع، وليس استحقاق المهر[٤].

نقد المتن عند علماء الحديث.

بينا فيما مضى أن أئمة الحديث عنوا بنقد المتن، ولم يغفلوا ذلك، ولكن لاشك أن اهتمامهم بالإسناد كان أكثر، للأمور التي ذكرناها ونريد أن نبين هنا القواعد التي استخدمها أئمة الحديث لنقد المتن، وشيئا من الممارسة والتطبيق العلمي لذلك، كي نبرهن بالأدلة القاطعة ممارستهم لنقد المتن على مستوى عام لجميع كتب الحديث بدون استثناء[٥].

---

(١) ينظر الصابوني عبد الرحمن: المصدر السابق ١/ ٢٣٧.

(٢) الساعاتي: أحمد عبد الرحمن البنا، بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن

(٣) هذا الأثر ضعفه جمع من أئمة الحديث، ينظر الصنعاني: عبد الرزاق بن همام بن نافع (ت ٢١١هـ/ ٨٢٧م) مصنف عبد الرزاق، طبعة المكتب الإسلامي ٦/ ٢٩٣، البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) السنن الكبرى، دار الفكر -بيروت ٧/ ٢٤٧.

(٤) ينظر ابن العربي: أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٨هـ ١/ ٢١٩، القرطبي: أبو عبد محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م) الجامع لاحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٦٥ - ١٩٦٦ م ٣/ ١٩٧.

(٥) ينظر عن نقد علماء المسلمين عامة للروايات، روزنثال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ص١٣٩، ١٥٥ - ١٦٢.

فمن الخطوات التي وضعها أئمة الحديث لنقد المتن:

أ- نقد التصحيح:

وهو: تصحيح النص، حذر أئمة الحديث من الأخطاء التي تنجم عن النقل، وردوا ذلك إلى مصدرين، إما السمع، وإما البصر[١].

فالأخطاء الناشئة عن ضعف في السمع: تكون غالباً، في المتون ذات المصادر الشفهية.

أما الأخطاء الناشئة عن ضعف في البصر: فغالبا ما تكون في مصادر مكتوبة[٢].

وسمى أئمة الحديث ذلك بالتصحيف والتحريف[٣].

ب- تفسير النص:

وهو إما تحديد المعنى الحرفي، وبتعبير المحدثين (شرح الغريب) أو معرفته[٤].

كان أئمة المسلمين، يهتمون بذلك، ويتحرون معاني الألفاظ.

سئل الإمام أحمد عن حرف من غريب الحديث، فقال[٥]:

"اسألوا أصحاب الغريب، فاني أكره أن أتكلم في قول رسول الله ﷺ بالظن فأخطئ".

وأما تحديد المعنى الحقيقي أو الإجمالي: ويسمى ذلك بالاستنباط، فإذا كان القصد من ذلك معرفة الأحكام الشرعية الواردة في المتن سمي الاستنباط استنباطاً شرعياً[٦].

وإذا كان لفهم لغة النص سمي الاستنباط لغوياً، أو هو تحليل لمضمون المتن من الناحية الفقهية واللغوية[٧].

---

(١) ينظر عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي ص ١٤٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ١٤٣.

(٣) التصحيف: تغيير بعض الحروف في السياق نتيجة للفظ مع بقاء صورة الخط، والتحريف: تغيير بعض الحروف في السياق نتيجة للشكل، ينظر القاري: شرح نخبة الفكر ص ٧٥.

(٤) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ١٣٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ١٣٧، السيوطي: تدريب الراوي ٢/ ١٨٥ ووقف الأصمعي نفس الموقف حينما سئل عن حرف غريب في حديث رسول الله ﷺ ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٣٧.

(٦) ينظر عبد الكريم الزيدان: الوجيز في أصول الفقه ص ١٦.

(٧) ينظر عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي ص ١٤٦.

اهتم بهذين الجانبين - وبالأخص الجانب الفقهي - مئات من أئمة المسلمين، وعلى رأسهم إبراهيم النخعي، والليث، والأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، واحمد.

قيل: أن الإمام الشافعي عكف على دراسة الشعر عشرين سنة، لكي يستعين به على فهم اللغة، ويتخذ ذلك وسيلة لفهم المتن واستنباط الحكم الشرعي[١].

ومن القواعد الكلية التي وضعوها لنقد المتن:

أ- عدم مخالفة القرآن الكريم.

ب- عدم مخالفة الثابت من الحديث والسيرة النبوية.

ج- عدم مخالفة العقل والحس والتاريخ[٢].

وقواعد أخرى سنأتي إلى تفصيلها في فصل الوضع[٣].

نماذج من نقد أئمة الحديث للمتن:

أ- كتابة النبي ﷺ[٤]:

ورد في صحيح البخاري عن البراء رضي الله عنه في صلح الحديبية عبارة يفيد ظاهرها أنه ﷺ كتب، عندما كان علي رضي الله عنه يكتب شروط الصلح فلما كتب[٥]:

(هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ﷺ. فَقَالُوا لاَ نُقِرُّ بِهَا، فَلَوْ نَعْلَمُ أنك رَسُولُ الله مَا مَنَعْنَاكَ، لَكِنْ أنت مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله. قَالَ «أَنَا رَسُولُ الله وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله». ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ «امْحُ رَسُولُ الله». قَالَ لاَ، والله لاَ أَمْحُوكَ أَبَدًا، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ الْكِتَابَ، فَكَتَبَ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ

---

(١) ينظر عثمان موافي: المصدر السابق ص ١٤٦.

(٢) ينظر الخطيب: الكفاية ص ٦٣، ابن الجوزي: الموضوعات، مطبعة المجد ١٣٨٦ -١٣٨٨هـ ١/ ١٠٣، ابن القيم: المنار المنيف ص ٤٣ -٤٤.

(٣) ينظر ص ٢٤٠.

(٤) هناك حديث آخر حول هذا الموضوع وهو حديث الطبراني من طريق ابن عقيل الثقفي (ما مات رسول الله ﷺ حتى قرأ وكتب) ثم قال: هذا حديث منكر، وأبو عقيل ضعيف الحديث وهذا معارض لكتاب الله عز وجل، أي قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، ينظر: الفتني: محمد طاهر الصديقي الهندي (ت ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م) تذكرة الموضوعات، مطبعة السعادة ١٣٢٣هـ ص ١٦، الأدلبي: منهج نقد المتن ص ٢٥٣.

(٥) صحيح البخاري ١٠/ ٢٠ (٢٦٩٩) فتح الباري ٥/ ٣٠٣ - ٣٠٤ (٢٦٩٩).

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، لاَ يَدْخُلُ مَكَّةَ سِلاَحٌ إِلاَّ فِي الْقِرَابِ، وَأَنْ لاَ يَخْرُجَ مِنْ أَهْلِهَا بِأَحَدٍ، إِنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّبِعَهُ، وَأَنْ لاَ يَمْنَعَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ بِهَا. فَلَمَّا دَخَلَهَا، وَمَضَى الأَجَلُ أَتَوْا عَلِيًّا..).

تمسك الإمام الباجي بظاهر النص الذي أوردناه في البخاري فادعى أن النبي ﷺ كتبه بيده[١].

رد جمهور العلماء على ذلك بطريقتين:

١- أن هناك أحاديث في الصحيحين توضح ذلك الإشكال فمنها حديث المسور بن مخرمة[٢] في البخاري في حكاية هذه القصة حيث جاء فيها[٣]:

(ثُمَّ قَالَ : « هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ». فَقَالَ سُهَيْلٌ[٤] :

واللهِّ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أنك رَسُولُ الله مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلاَ قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «واللهِّ إِنِّى لَرَسُولُ الله وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِى. اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله ».

ومنها: ما رواه مسلم عن أنس بن مالك فقد جاء فيها[٥]:

(هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ». فَقَالَ لَهُ الْمُشْرِكُونَ لَوْ نَعْلَمُ أنك رَسُولُ الله تَابَعْنَاكَ وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله. فأمر عَلِيًّا أَنْ يَمْحَاهَا فَقَالَ عَلِيٌّ لاَ واللهِّ لاَ أَمْحَاهَا. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ « أَرِنِى مَكَانَهَا ». فَأَرَاهُ مَكَانَهَا فَمَحَاهَا وَكَتَبَ « ابن عَبْدِ الله ».

فهذان النصان صريحان في أنه ﷺ لم يكتب، ولكنه قال للكاتب اكتب.

٢- حمل الجمهور رواية (براء)على المجاز، وهي قوله: فكتب أي أمر بالكتابة، كما يقال:

---

(١) ينظر الأدلبي: المصدر السابق ص ٢٥٤، والباجي هو: سليمان بن خلف بن سعد القرطبي، أحد أئمة المالكية (ت ٤٧٤هـ) ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٨ -٤٠٩ (٢٧٥)، ابن عماد: شذرات الذهب ٣/ ٣٤٤ - ٣٤٥، هكذا يقع مثل هذا الإمام الجليل في الإشكال في التعامل مع أحاديث رسول الله ﷺ فما بالك بالصحفيين والأميين الذين لا يقرأون الكتاب إلا أماني !.

(٢) هو مسور بن مخرمة بن نوفل الزهري، ثقة (ت ٦٤هـ) ينظر ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٢٤٩ (١١٣٦)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٣٧٧.

(٣) صحيح البخاري ١٠/ ٧٧ (٢٧٣١) فتح الباري ٥/ ٣٢٩ -٣٣٣ (٢٧٣٢) وهو حديث طويل جدا.

(٤) سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي، أحد الصحابة الاجلاء، مدحه الرسول ﷺ توفي باليرموك، وقيل بطاعون عمواس، ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ١٠٨-١١٢، ابن حجر الإصابة ٢/ ٩٣ -٩٤ (٣٥٧٣).

(٥) رواه مسلم ١٢/ ٨٩ (٤٧٣١)، (شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٣٩).

كتب إلى قيصر وإلى كسرى، أما قوله (فأخذ الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب) ففيه حذف، إذ أنه اخذ الكتاب وليس يحسن أن يكتب ليريه على كلمة (محمد رسول الله) ليمحوها بنفسه ﷺ بعد أن حلف علي أن لا يمحوها وبعد أن محاها النبي ﷺ أمره أن يكتب (محمد بن عبد الله)[١].

ب- قيام الساعة قبل نهاية القرن الأول:

روى البخاري عن أنس أن غُلاَمًا لِلْمُغِيرَةِ وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِهِ مَرَّ فَقَالَ[٢]: (إِنْ آخر هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ).

هذا الحديث مشكل في ظاهره، وهو يدل على قيام الساعة بعد موت هذا الصبي مباشرة.

وقد فسر أئمة الحديث ذلك وبينوه، بما وقع لبعضهم من وهم لنص الحديث من النبي ﷺ، وكذلك معنى قول النبي بالساعة.

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً من الأعراب جفاة، كانوا يأتون النبي ﷺ فيسألونه: متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول[٣]: (إِنْ يَعِشْ هَذَا لاَ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ).

وفسر هشام بن عروة، راوي الحديث عن أبيه عن عائشة، بقوله: يعني موتهم، وهذا يعني أنهم يسألون رسول الله ﷺ عن الساعة، لكنه ﷺ يصرفهم عن سؤالهم هذا، لأن علم الساعة لا يعلمها إلا الله وإنما صرفهم إلى التفكير في ساعتهم أي موتهم.

فمهما عمّروا فإن المنّية تلاقيهم، قبل أن يصل هذا الصبي إلى سن الهرم.

وهناك سبب آخر قد أوهم الصحابة رضي الله عنهم في ذلك، وهو ما استقر في ذهن الصحابة من قرب الساعة، حيث أنهم سمعوا من رسول الله ﷺ أحاديث تؤكد قرب القيامة، منها: حديث مسلم عن أنس بن مالك[٤]: (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا) ويشير بإصبعه الإبهام والوسطى. ومعنى الحديث هو: قرب قيامها بالنسبة لما مضى من الدنيا[٥].

---

(١) ينظر: منهج نقد المتن ص ٢٥٤.

(٢) صحيح البخاري ٢٠/ ٣٥٠ (٦١٦٧).

(٣) صحيح ٢١/ ٤٠٥ (٦٥١١).

(٤) صحيح مسلم ١٨/ ٤٧٥ (٧٥٩٢)، (النووي: المصدر السابق ١٨/ ٨٩).

(٥) ينظر تفصيل ذلك ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٥٥٦ -٥٥٧، النووي: المصدر السابق ١٨/ ٨٩.

ومنها ما رواه مسلم والترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى بهم ذات ليلة صلاة العشاء، في آخر حياته، فلما سلم قام فقال [١]:

(أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأرض أحد).

قال ابن عمر: فوهل [٢] الناس في مقالة رسول الله ﷺ تلك، فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال رسول الله ﷺ [٣]:

(لا يَبْقَى مَنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأرض أحد يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهُ يَنْخَرِمُ ذَلِكَ الْقَوْمُ).

وقصد رسول الله ﷺ - أنه لا يبقى على ظهر الأرض - ممن هو كائن ليلتئذ على رأس مائة سنة.

بينما فهم الناس أنه لا يبقى بعد مائة سنة أحد مطلقاً.

وهذا الوهم يشبه الوهم الذي وقع فيه حديث هرم الصبي [٤].

ج- ولد الزنا شر الثلاثة:

روى أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ [٥]: (وَلَدُ الزِّنَا شَرُّ الثَّلاَثَةِ).

وقال أبو هريرة [٦]: لأن امتع بسوط في سبيل الله احب الي من اعتق ولد زنية.

وقد طعن أئمة الحديث وغيرهم على متن هذا الحديث بعدة طرق منها:

منافاته لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥].

ومنها أن السيدة عائشة لما بلغها ذلك قالت: كان رجل من المنافقين يؤذي رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح مسلم ١٦/ ٣٣٧ (٦٦٤٢) (النووي: المصدر نفسه ١٦/ ٨٩ - ٩٠، الترمذي: السنن ٤/ ٤٥٠ - ٤٥١ (٢٢٥٠)، الطحاوي: أحمد بن محمد بن سلامة (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م) مشكل الآثار، دار المعارف، حيدر آباد - الدكن ١٣٣٣هـ ١/ ١٦١ - ١٦٢.

(٢) الوهل: الفزع والخوف، ينظر: لسان العرب ٣/ ٩٩٣ (وهل).

(٣) الطبراني: مسند الشاميين، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط١، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ٤/ ٢٢٧ (٣١٤٧).

(٤) ينظر الأدلبي: المصدر السابق ص ٢٨٢.

(٥) أبو داود: السنن ٤/ ٢٨ (٣٩٦٩).

(٦) أبو داود: السنن ٤/ ٢٨ (٣٩٦٩).

فقال: من يعذرني من فلان ؟ فقيل يا رسول الله ﷺ أنه مع ما به ولد زنا. فقال: (هو شر الثلاثة). قالت عائشة والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

فقد بينت السيدة عائشة أن لهذا الحديث سببا خاصا، ولا يجوز تعميم هذا الحكم على حالات أخرى.

ومنها أن البيهقي روى مرسلا أن أبوي، ولد الزنا، اسلما ولم يسلم هو، فلذلك، قال رسول الله ﷺ ذلك [١].

ومنها عن أبي هريرة أيضاً، فيما روى عنه مالك، سئل عن عتق ولد الزنا فقال: نعم ذلك يجزيء.

قال الزرقاني في شرحه[٢]:

"لأن المدار على الإيمان من غير نظر لنسب ".

ومنها علل في أسانيدها ذكرها الإمام ابن الجوزي ثم علق عليها.

ثم أي ذنب لولد الزنا حتى يمنعه من دخول الجنة؟ فهذه الأحاديث تخالف الأصول، وأعظم ذلك ما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

وقد استشكلت هذه الأحاديث[٣] على العلامة ابن القيم، وأراد أن يقوي الحديث، ويثبت بأن ولد الزنا شر الثلاثة حيث يقول [٤]:

"ليست معارضة بها أن صحت، فإنه لم يحرم الجنة بفعل والديه، بل لأن النطفة الخبيثة، لا يتخلق منها طيب في الغالب، ولا يدخل الجنة إلا نفس طيبة، فإن كانت في هذا الجنس طيبة دخلت الجنة، وكان الحديث من العام المخصوص، وقد ورد في ذمه أنه شر الثلاثة، وهو حديث

---

(١) السنن الكبرى ٣/ ٩١(٤٩١٥)، وينظر كذلك الخطابي: أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم(ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) معالم السنن، تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة - القاهرة ٥/ ٤٢١ - ٤٢٣.

(٢) شرح الموطأ، طبعة القاهرة ١٣١٠هـ ٤/ ٨٦، وينظر كذلك الطحاوي: المصدر السابق ١/ ٣٩١ - ٣٩٣.

(٣) ابن الجوزي: الموضوعات ٣/ ١٠٩ -١١١، ومن تلك الروايات:
- لا يدخل الجنة ولد زنا، ولا ولده، ولا ولد ولده.
- فرخ الزنا لا يدخل الجنة، وروايات أخرى، ينظر: المصدر نفسه ٣/ ١٠٩ - ١١١.

(٤) المنار المنيف ص ١٣٣.

حسن ومعناه صحيح بهذا الاعتبار، فإن شر الأبوين عارض، وهذا نطفة خبيثة فشره في أصله، وشر الأبوين من فعلهما".

ومن يدقق النظر في قوله (لأن النطفة الخبيثة ...الخ) يرى أنه رحمه الله قد تكلّف في تأويل الحديث تكلفا لا مبرر له[١].

إضافة إلى ما ذكرنا فقد تكون هذه الروايات دخلت إلى صفوف المسلمين عن طريق مسلمة أهل الكتاب، لأن في التوراة عدة روايات متشابه، تقول بعدم دخول ولد الزنا الجنة ولا ولده، ولا ولد ولده، وفي رواية إلى سبعة آباء وفي أخرى الجيل العاشر[٢].

أئمة التاريخ ونقد المتن:

بينا فيما مضى أن أئمة التاريخ كان لهم مشاركة فعلية في نقد الإسناد، ولكن لم تكن تلك المشاركة بالمستوى المطلوب وقد حللنا سبب ذلك.

ونريد أن نضيف هنا شيئاً آخر من تلك الأسباب لكي نرفع بعض الملام عنهم.

١ - عدم تصورهم أن تتخذ الروايات التاريخية من بعدهم دينا أو عقيدة يحتكم إليها، دون الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله وكان ذلك سببا في تساهلهم في تلك الروايات[٣].

٢- أن بعضا من تلك الروايات، قد أدخلت في كتب هؤلاء المؤرخين وغيرهم بعد وفاتهم عن طريق أصحاب الأهواء، والنحل، والفرق، والمذاهب الباطلة، بزعامة الفرقة الضالّة التابعة للمجوس، لإدخال الباطل إلى هذا الدين، وتلويث الروايات التاريخية، وتشويه صور رجال الإسلام.

٣- عن طريق النساخ والوراقين من أعداء الإسلام، ممن كانوا يُزيِّدون، وينقِّصون، من أجل مكسب دنيوي زهيد، ويبيعون ضمائرهم مقابل ذلك.

---

(١) نقول متى كان شره أصيلا وشر والديه عارضا، إذ لو لم يكن الوالدان الفاجران لما كانت النطفة، فهما الأصل والسبب في وجوده، !! وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧﴾ [الطارق: ٥ - ٧].

(٢) ينظر: الكتاب المقدس ص ٩٣، سفر الخروج ٢٠ / ٥، وص ١٨٠، سفر العدد ١٤/ ١٨، وص ٢٤٢، سفر التثنية ٢٣/ ٣ -٤.

(٣) وقد اتخذ بعض الفرق الضالة والغالية من تلك الروايات الباطلة عقائد وأحكاماً يرجعون إليها ويؤمنون بها، ولا يؤمنون بغيرها، ينظر ص ٢٤٧ وما بعدها.

لكن مع وجود هذه الأسباب وغيرها، قد لا يعذرون أمام الله تعالى تجاه ما ملؤا به كتبهم من الدسائس والموضوعات والخزعبلات.

ومن أجل ذلك نرى أن بعض أئمة التاريخ كابن خلدون - مع ما ذكرنا من قواعد أئمة الحديث لنقد المتن - يضع مباديء رائعة لنقد المتن، بل ربما هو ثاني اثنين كما ذكرنا في عالم التاريخ يبين تلك الأسس ويحاكم الرواية التاريخية بطرق متعددة ومعارف متنوعة.

يقول ابن خلدون عن الروايات التاريخية والتاريخ[١]:

"فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق.

وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغاليط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الطريق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ولابد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد ...الخ ".

ونذكر هنا عددا من أئمة التاريخ - كنماذج - الذين لهم دور في نقد بعض الروايات التاريخية، ولكن احدهم ربما لا ينتقد أكثر من بضع روايات أو أكثر من بين مئات الروايات.

١- الخطيب البغدادي.

ونختار من محاكمات الخطيب لنقد المتن محاكمتين:

أ- الخبر الموضوع على ابن المديني في مسألة خلق القرآن.

قال الخطيب[٢]: أخبرنا الحسين بن علي الصيمري[١]، حدثنا محمد بن عمران المرزباني[٢]،

---

(١) المقدمة ص ٧.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٤٦٦ - ٤٦٧، وينظر أيضاً المديني: علي بن عبد الله بن جعفر (ت ٢٣٤هـ/ ٨٤٩م) العلل، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢ م ص ١٦ - ١٨ غير أنه سمى الحسين بن فهم حسنا، وهو إمام الأئمة وشيخ البخاري، حتى قال: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند ==

اخبرني محمد بن يحيى[٣]، حدثنا الحسين بن فهم[٤]، حدثني أبي[٥] قال: قال ابن أبي دؤاد[٦] للمعتصم: يا أمير المؤمنين هذا يزعم - يعني أحمد بن حنبل - أن الله تعالى يرى في الآخرة والعين لا تقع إلا على محدود، والله تعالى لا يحد.

فقال له المعتصم: ما عندك في هذا ؟ فقال: يا أمير المؤمنين عندي ما قاله رسول الله ﷺ. قال: وما قال عليه السلام؟ قال: حدثني محمد بن جعفر غندر[٧]، حدثنا شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد[٨]، عن قيس بن أبي حازم[٩] عن جرير بن عبد الله البجلي[١] قال: كنا مع النبي ﷺ في ليلة أربع عشرة من

==

علي ابن المديني، ينظر: المصدر نفسه ١١/ ٤٥٨ - ٤٧٣ (٦٣٤٩)، الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢٨ - ٤٢٩ (٤٣٦).

(١) حسين بن علي بن محمد بن جعفر القاضي، فقيه، صدوق(ت ٤٣٦هـ) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٨/ ٧٨ -٧٩ (٤١٦٣)، ابن عماد: المصدر السابق ٣/ ٢٥٦.

(٢) مؤرخ أديب، يدلس، صدوق فيه تشيع واعتزال (ت ٣٨٤هـ) ينظر المصدران السابقان: ٣/ ١٣٥ -١٣٦ (١١٥٩)، ٣/ ١١١ -١١٢.

(٣) المعروف بأبي بكر الصولي، أحد أئمة الأدب في عصره، مقبول (ت ٣٣٦هـ) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٣/ ٤٢٧ - ٤٣٢ (١٥٦٦)، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ٣٥٦ - ٣٦١ (٦٤٨).

(٤) حسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم، ليس بالقوي (ت ٢٨٩هـ) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٨/ ٩٢ - ٩٣ (٤١٩٠)، الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٥٤٥ -٥٤٦ (٢٠٤١).

(٥) محمد بن عبد الرحمن بن فهم بن محرز (والد السابق) لم أقف على تاريخ وفاته، ولا على توثيقه أو تجريحه، وهو من تلاميذ؛ يحيى ابن معين، ينظر الخطيب: المصدر السابق ٢/ ٣١١ (٧٩٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٤٩.

(٦) أحمد بن أبي دؤاد، فرج بن جرير القاضي المعتزلي (رأس فتنة خلق القرآن)، كان من أكرم الناس، حسن الخلق، ولولا ما وضع نفسه في الفتنة، لاجتمعت عليه الألسن (ت ٢٤٠هـ) ينظر وكيع: محمد بن خلف (ت ٣٠٦هـ/ ٩١٨م) أخبار القضاة، طبع الاستقامة ١٣٦٩هـ ٢/ ٢٩٤ - ٣٠٣، الخطيب: المصدر السابق ٤/ ١٤١ - ١٥٦ (١٨٢٥)، ابن المرتضى: أحمد بن يحيى (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٧م) طبقات المعتزلة، تحقيق السيدة سوسنة ديفلد - بيروت ١٩٦١ م ص ٦٢.

(٧) ينظر ترجمته ص ٤٠٦.

(٨) البجلي مولاهم الكوفي الحافظ، حجة متفق عليه (ت ١٤٥هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٥٣ - ١٥٤ (١٤٨)، ابن عماد: المصدر السابق ١/ ٢١٦.

(٩) ثقة حجة كاد أن يكون صحابيا ت٩٨هـ ينظر الخطيب: المصدر السابق ١٢/ ٤٥٢ - ٤٥٥ (٦٩٣٦)، الذهبي: الميزان ٣/ ٣٩٢ - ٣٩٣ (٦٩٠٨).

الشهر، فنظر إلى البدر، فقال:

(إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ)[٢].

فقال لأحمد بن أبي دؤاد: ما عندك في هذا ؟ قال: انظر في إسناد هذا الحديث، وكان هذا في أول يوم ثم انصرف، فوجه ابن أبي دؤاد إلى علي بن المديني - وهو ببغداد مملق[٣] ما يقدر على درهم - فأحضره فما كلمه بشيء حتى وصله بعشرة آلاف درهم، وقال له: هذه وصلك بها أمير المؤمنين، وأمر أن يدفع إليه جميع ما استحق من أرزاقه وكان له رزق سنتين، ثم قال له: يا أبا الحسن حديث جرير بن عبد الله في الرؤية ما هو ؟ قال صحيح، قال: فهل عندك فيه شيء ؟ قال: يعفيني القاضي من هذا.

فقال: يا أبا الحسن هذه حاجة الدهر ثم أمر له بثياب وطيب ومركب بسرجه ولجامه، ولم يزل حتى قال له: في هذا الإسناد من لا يعمل عليه ولا على ما يرويه، وهو قيس بن أبي حازم، وإنما كان أعرابيا بوالا على عقبيه، فقبل ابن أبي دؤاد ابن المديني واعتنقه، فلما كان من الغد حضروا، قال ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين يحتج في الرؤية بحديث جرير، وإنما رواه عنه قيس بن أبي حازم، وهو أعرابي بوال على عقبيه، قال: فقال أحمد بن حنبل بعد ذلك: فحين أطلع لي هذا، علمت أنه من عمل علي بن المديني).

وقد ناقش مضمون هذا الخبر وانتقده الخطيب بطريقتين:

==

(١) أسلم قبل موت رسول الله ﷺ بأربعين يوما (ت ٥١هـ) ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٢٣٢ -٢٣٣، ابن حجر: الإصابة ١/ ٢٣٢ (١١٣٦).

(٢) صحيح البخاري ٢٤/ ٢٨٥ (٧٤٣٤)، (فتح الباري ٢/ ٥٢ (٥٧٣). تضامُّون: تزدحمون. وَالتَّضَامُّ مِنَ النَّاسِ يَكُونُ فِي أول الشَّهْرِ عِنْدَ طَلَبِهِمُ الْهِلَالَ، فَيَجْتَمِعُونَ وَيَنْضَمُّ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ، وَيَقُولُ وَاحِدٌ: هُوَ ذَاكَ، وَيَقُولُ آخر: لَيْسَ بِهِ، وَلَيْسَ يَحْتَاجُ أَنْ يَنْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ لِطَلَبِهِمُ الْهِلَالَ؛ لأنهم كُلُّهُمْ يَرَوْنَهُ، وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ الْمَثَلَ بِالشُّهْرَةِ فِي الْقَمَرِ وَالظُّهُورِ؛ تَقُولُ: هُوَ أَبْيَنُ مِنَ الشَّمْسِ وَمِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَأَشْهَرُ مِنَ الْقَمَرِ. وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ: وَقَدْ بَهَرَتْ فَمَا تَخْفَى عَلَى أحد إِلَّا عَلَى أحد لَايَعْرِفُ الْقَمَرَا

ينظر الدينوري المالكي: أبو بكر أحمد بن مروان (ت ٣٣٣هـ) المجالسة وجواهر العلم، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت - لبنان) تاريخ النشر: ١٤١٩هـ ٣/ ٢٨٧ (٩٢٩).

(٣) أي فقير الحال، ينظر الرازي: مختار الصحاح ص ٦٣٣ (م ل ق).

١- ابن المديني يوثق قيس بن أبي حازم.

٢- لم يحك عن أحد ممن ذكر محنة أحمد، أنه نوظر في مسألة الرؤية، وهذان الدليلان كافيان للطعن في الخبر[١].

يقول الخطيب[٢]:

"قلت: أما ما يحكى عن علي بن المديني في هذا الخبر من أن قيس بن أبي حازم لا يعمل على ما يرويه لكونه أعرابيا بوالا على عقبيه فهو باطل.

وقد نزه الله عليا من قول ذلك، لأن أهل الأثر - وفيهم علي - مجمعون على الاحتجاج برواية قيس بن أبي حازم وتصحيحها، إذ كان من كبراء تابعي أهل الكوفة، وليس في التابعين من أدرك العشرة المقدمين، ولم يحك أحد غير قيس، مع روايته عن خلق من الصحابة سوى العشرة، ولم يحك أحد ممن ساق خبر محنة أبي عبد الله أحمد بن حنبل أنه نوظر في حديث الرؤية ...الخ".

ب- وضع الجزية عن أهل خيبر.

أظهر بعض اليهود في عصر الخطيب، كتاباً وادعى فيه أن معه كتابا نبويا بإسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادات بعض الصحابة فأوقف الوزير بن مسلمة[٣] الخطيب على هذا الكتاب، فقال الخطيب[٤]:

---

(١) ساق ابن الجوزي هذه القصة في مناقب الأمام أحمد، ينظر ابن الجوزي: المحنة، مطبعة الخانجي ص ٣٩١.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٤٦٧.

(٣) علي بن الحسن بن أحمد، لقبه القائم بأمر الله رئيس الرؤساء، واستوزره، ثقة (قتل ٤٥٠هـ) ينظر: الخطيب: المصدر نفسه ١١/ ٣٩١ - ٣٩٢ (٦٢٦٨)، ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ٨٠.

(٤) الكفاية في علم الرواية ص ١٩، يبدو أن محاولة خداع المسلمين بهذا الكتاب قد تكررت ثلاث مرات، في فترات زمنية متباعدة:

أ- في زمن ابن جرير الطبري - المؤرخ - (ت ٣١٠هـ).

ب- في زمن الخطيب - كما ذكرنا- سنة (٤٤٧هـ ت ٤٦٣هـ).

ج- أخيراً في زمن ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ينظر ياقوت الحموي:معجم الأدباء، مطبعة دار المامون ١٣٥٥هـ ٤/ ١٨، ابن القيم: أحكام أهل الذمة، مطبعة جامعة دمشق ١/ ٧ -٩، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ١٤، السخاوي: الإعلان بالتوبيخ ص ١٠، وقد أطال وأفاد ابن القيم في نقد مضمون هذا الكتاب من حوالي عشرة أوجه، وكلها قيمة، ينظر: أحكام أهل الذمة ١/ ٧ -٩، المنار المنيف ص ١٠٢ - ١٠٥.

"هذا كذب، فقال له ابن مسلمة: ما الدليل على كذبه ؟ قال الخطيب: لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر. وقد كانت خيبر في سنة سبعة من الهجرة، وإنما أسلم معاوية يوم الفتح، وفيه أيضاً شهادة سعد بن معاذ[١] وقد مات سعد قبل خيبر، عام الخندق، سنة خمس فأعجب الناس ذلك ".

٢ـ الإمام شمس الدين الذهبي ونقد المتن.

لا شك أن الإمام الذهبي هو أكبر مؤرخي الإسلام وأوسعهم استخداما للنقد بطريقتيه، السند، والمتن. وإن من يقرأ كتبه، كسير أعلام النبلاء، ميزان الاعتدال، تذكرة الحفاظ، تاريخ الإسلام، العبر ...الخ، يجد مئات من الشواهد على ذلك.

ونذكر هنا مثالين فقط لاستخدامه نقد المتن للروايات التاريخية.

أولاً: إسلام العباس بن عبد المطلب[٢] قبل معركة بدر[٣]: أشار الإمام الذهبي إلى بعض الروايات التي تفيد أن العباس قد أسلم قبل - غزوة بدر- ثم علق عليها مفنداً ذلك بقوله[٤]: "ولو جرى هذا لما طلب من العباس فداء يوم بدر! ".

ثانياً: ما روي عن عائشة: فخرت بمال أبي في الجاهلية وكان ألف ألف أوقية ...الخ، قال: وإسنادها فيه لين، واعتقد لفظة ألف الواحدة باطلة، فإنه يكون أربعين ألف درهم، وفي ذلك مفخر لرجل تاجر، وقد أنفق ماله في ذات الله، ولما هاجر كان قد بقي معه ستة آلاف درهم فأخذها صحبته، أما ألف ألف أوقية فلا تجتمع إلا لسلطان كبير[٥].

---

(١) بن النعمان بن امرء القيس، صحابي جليل القدر، كان يحبه رسول الله ﷺ (ت ٥هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٢٧ - ٢٨، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٨ (٣٢٠٥).

(٢) بن هاشم عم النبي ﷺ قيل أنه أسلم بعد غزوة بدر، وكتم إسلامه إلى أن فتح النبي مكة (ت ٣٢هـ) ينظر ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٧١ (٤٥٠٧)، تهذيب التهذيب ٥/ ١٢٢ - ١٢٣ (٢١٤).

(٣) وقعت بين النبي وبين قريش في السنة الثانية من الهجرة في مياه بدر، ينظر: ابن هشام: عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م) السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت ٢/ ٢٥٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢/ ٩٩.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ١٨٥ - ١٨٦.

٣ـ ابن كثير ونقد المتن.

شارك ابن كثير في نقد المتن في عدد لا بأس به من الروايات ومما انتقده من الأخبار وجعل له عنوانا تحت: غريبة من الغرائب وآبدة الأوابد:

ملخص هذه الغريبة أن أحد كبار أئمة الحديث وهو - معمر[١] - يروي رواية مخالفة لما تواتر عن أهل الكوفة من الصحابة والتابعين ومنهم علي ﷺ من تفضيل علي على الشيخين. وإليك نص الرواية:

قال ابن كثير[٢]:

" قال ابن أبي خيثمة[٣]: ثنا أحمد بن منصور[٤]، ثنا سيار[٥]، ثنا عبد الرزاق[٦] قال: قال معمر مرة وأنا مستقبله وتبسم وليس معنا أحد ! فقلت له: ما شأنك. قال: عجبت من أهل الكوفة، كأن الكوفة إنما بنيت على حب علي، ما كلمت أحداً منهم إلا وجدت المقتصد منهم الذي يفضل علياً على أبي بكر وعمر، منهم سفيان الثوري. قال: فقلت لمعمر ورأيته؟ - كأني أعظمت ذاك - فقال معمر: وما ذاك ؟ لو أن رجلاً قال: عمر عندي أفضل من علي وأبي بكر ما عنفته، قال عبد الرزاق: فذكرت ذلك لوكيع بن الجراح[٧] ونحن خاليين فاستهالها من سفيان وضحك وقال: لم

---

(١) معمر بن المثنى، أبو عبيدة، صاحب العربية، أتهم بشيء من رأي الخوارج، اختلف في توثيقه (توفي بين ٢٠٨ - ٢١١هـ) ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ١٥٥ (٨٦٩٠)، ابن حجر المصدر السابق: ١٠/ ٢٤٦ -٢٤٨ (٤٤٢).

(٢) البداية والنهاية ٨/ ١٢.

(٣) أحمد ابن أبي خيثمة، زهير بن حرب بن شداد، الأمام الحافظ، الحجة (ت٢٧٩هـ) ينظر الخطيب:تاريخ بغداد ٤/ ١٦٢ -١٦٤ (١٨٤٠)، الذهبي:تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٩٦ (٦١٩).

(٤) ينظر ترجمته ص ٤٠٦.

(٥) سيار أبو حمزة الكوفي، صدوق مقبول من الخامسة، لم أعثر على تاريخ وفاته ينظر ابن رجب: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م) شرح علل الترمذي، تحقيق الدكتور همام عبد الرحيم، الطبعة الأولى، مكتبة المنار -الزرقاء - الأردن ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م ٢/ ٧٧١، تهذيب الكمال ١٢/ ٣١٥ (٢٦٧١) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ٢٥٧ (٥١٣).

(٦) هو الصنعاني صاحب المصنف ثقة (ت ٢١١هـ) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٣٦٤ (٣٥٧)، ابن حجر: المصدر السابق ٦/ ٣١٠ -٣١٥ (٦٠٨).

(٧) بن مليح الإمام الحافظ، الثبت، محدث العراق، شيخ الشافعي، كان يفتي على مذهب أبي حنيفة (ت ١٩٧هـ) ينظر المصدران السابقان: ١/ ٣٠٦ - ٣٠٩ (٢٨٤)، ١١/ ١٢٣ -١٣١ (٢١١).

يكن سفيان يبلغ بنا هذا الحد، ولكنه أفضى إلى معمر بما لم يفض إلينا، وكنت أقول لسفيان: يا أبا عبد الله أرأيت أن فضلنا علياً على أبي بكر وعمر، ما تقول في ذلك ؟ فيسكت ساعة ثم يقول: اخشي أن يكون ذلك طعناً على أبي بكر وعمر ولكنا نقف".

يعلق الأمام ابن كثير على هذا الخبر فيقول[١]: "وهذا الكلام فيه تخبيط كثير ولعله اشتبه على معمر فإن المشهور عن بعض الكوفيين تقديم علي على عثمان، فأما على الشيخين فلا، ولا يخفى فضل الشيخين على سائر الصحابة إلاّ على غبيٍّ؛ فكيف يخفى على هؤلاء الأئمة ؟بل قد قال غير واحد من العلماء - كأيوب[٢] والدارقطني[٣] - : من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار. وهذا الكلام حق وصدق وصحيح ومليح".

ثم يضيف أن علياً رضي الله عنه فيما نقل عنه متواتراً أنه أعلن في أكثر من مناسبة أن أفضل الناس بعد رسول الله أبو بكر وعمر ثم عثمان.

يقول ابن كثير، وهو ينقل عن علي قبيل وفاته بساعات[٤]: "ألا تستخلف؟فقال: لا ولكن أترككم كما تركككم رسول الله، فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله، فهذا اعتراف منه في آخر وقت الدنيا بفضل الصديق. وقد ثبت عنه بالتواتر أنه خطب بالكوفة في أيام خلافته ودار إمارته فقال:

أيها الناس أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر ولو شئت أن أسمي الثالث لسميت. وعنه أنه قال وهو نازل من المنبر: ثم عثمان ثم عثمان ".

٤ـ ابن خلدون وإيقاع الرشيد بالبرامكة:

أن من الحكايات المشهورة في التاريخ الإسلامي، حكاية البرامكة، والتي حشيت بها كتب التاريخ، وقد ذكر المؤرخون عدة أسباب[٥] لإيقاع الرشيد بالبرامكة، وأعداء الإسلام أبوا إلا أن

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ١٣.

(٢) أيوب بن أبي تميمة، كيسان، السختياني، البصري، الحافظ، العلم (ت ١٣١هـ) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٣٠ - ١٣٢ (١١٧)، ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٣٩٧ - ٣٩٩ (٧٣٣).

(٣) ينظر الملحق رقم (٣).

(٤) المصدر نفسه ٨/ ١٣.

(٥) ينظر مثلا ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٣٢٨ -٣٤٦ (رقم الترجمة ١٣٢/ ١٣٢ ب)، وقد ألّفنا كتاباً ==

يبرزوا سببا من تلك الأسباب بوضوح في رواياتهم لما لذلك السبب من النيل في شرف أبناء عم الرسول ﷺ وشرف المسلمين قاطبة.

يتصدى ابن خلدون كعالم نقاد محلل لتلك الخرافة والبدعة التاريخية، حيث يأتي إلى تحليل القضاء على البرامكة بتعاليل عقلية ومنطقية، واجتماعية وعمرانية لكي يبرهن بالنقد البناء لذلك النص الذي طالما تناوله الناس جيلاً بعد جيل، أنه نص باطل ودخيل على التاريخ الإسلامي.

يقول ابن خلدون[١]:

"ومن الحكايات المدخولة للمؤرخين، ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد للبرامكة من قصة العباسة أخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وأنه لكلفه بمكانهما من معاقرته إياهما الخمر إذن لهما في عقد نكاح دون الخلوة حرصاً على اجتماعهما في مجلسه وأن العباسة تحيلت[٢] عليه في التماس الخلوة به لما شغفها من حبه حتى واقعها زعموا في حالة سكر فحملت ووشي بذلك إلى الرشيد فاستغضب !.

وهيهات ذلك من منصب العباسة في دينها وأبويها وجلالها وأنها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه إلا أربعة رجال، هم أشراف الدين، وعظماء الملة من بعده، والعباسة بنت محمد المهدي بن عبد الله – أبي جعفر المنصور – بن محمد السجاد بن علي أبي الخلفاء ابن عبد الله ترجمان القرآن ابن العباس عم النبي ﷺ، ابنة خليفة، أخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومته، وإمامة الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها، قريبة عهد ببداوة العروبية وسذاجة[٣] الدين البعيدة عن عوائد الترف ومراتع الفواحش، فأين يطلب الصون والعفاف إذا ذهب عنها ؟! وأين توجد الطهارة والزكاء إذا فقد من بينها ؟ أو كيف تلحم

==

خاصّا في هذا الموضوع وسميناه: أسطورة العباسة بنت المهدي وقصص أخواتها في التاريخ الإسلامي، أمام منهج المحدّثين ونقّاد المؤرخين، وهو معدّ للطبع.

(١) المقدمة ص ١١ -١٣.

(٢) الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) الأعلام، الطبعة الثانية، مطبعة كوستاتوماس وشركاءه ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧ م ٥/ ١٨٩ يروي شيئاً جيداً عن نفيه لذلك ويرى ذلك أيضاً من الموضوعات التي أدخلت في تاريخنا.

(٣) لعل قصده – الفطرة السليمة.

نسبها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بمولى من موالي العجم [١] بملكة جده من الفرس أو بولاء جدها من عمومة الرسول وأشراف قريش وغايته أن جذبت دولتهم بضبع[٢] وضبع أبيه واستخلصهم ورقتهم إلى منازل الأشراف، وكيف يسوغ من الرشيد أن يصهر إلى موالي الأعاجم على بعد همته وعظم آبائه ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المنصف، وقاس العباسة بابنة ملك من عظماء ملوك زمانه، لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالي دولتها وفي سلطان قومها واستنكره ولج في تكذيبه، وأين قدر العباسة والرشيد من الناس ؟.

وإنما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال، فلا يصل إليه، فغلبوه على أمره، وشاركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه فعظمت آثارهم وبعد صيتهم ...إنما قتلتهم الغيرة والمنافسة في الاستبداد من الخليفة فمن دونه وكذلك ما تحيل به أعداؤهم من البطانة فيما دسوه للمغنين من الشعر احتيالا على إسماعه للخليفة وتحريك حفائظه لهم وهو قوله:

ليت هندا أنجزتنا ما تعد ... وشفت أنفسنا مما نجـــد

واستبدت مرة واحـــدة ... إنما العاجز من لا يستبد[٣]

---

(١) هذا الكلام فيه إعتداء، صارخ، لقواعد الدين وأصول الشريعة الغراء، ومما جاء به سيد المرسلين، حيث أن الإسلام، أذهب عن المسلمين هذه الشعارات الجوفاء، والنفخيات الباطلة، فرسول الله ﷺ نفسه، لم يكن إلا من العرب المستعربة، ولم يكن من العرب العاربة، باتفاق جميع أهل الأنساب، وأهل التاريخ، والتراجم وغيرها، ثم أليس هو القائل لمثل هؤلاء: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ فَخْرُهُمْ بِرِجَالٍ أو لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنْ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ).

والعُبِّيَّة: الكبر. سنن أبي داود ٢/ ٧٥٢ (٥١١٦)، سنن الترمذي: ٥/ ٣٨٩ (٣٢٧٠)، ٧٣٤ (٣٩٥٥)، مسد أحمد ٢/ ٣٦١ (٨٧٢١) ، بأسانيد حسنة، صحيح بن حبان ٩/ ١٣٧ (٣٨٢٨) بإسناد صحيح. ونرجو أن يكون هذا الكلام، زلّة من الزلات التي لا يخلو منها، بشر من الناس، في ساعة من ساعات الغفلة، أو يؤول كلامه بأنه يقصد، عدم التكافئ، بين آباء عباسة، سادة المسلمين، وآباء البرامكة سادة المجوس، للاختلاف في الدين وهذا حق، أما غير ذلك، فهو من نعرات وحمية الجاهلية، التي جاء الإسلام، لإنقاذ البشرية منها.

(٢) ضبعه: أي كانوا تحت إبطه، وإبط أبيه (وصلوا إلى المناصب بفضلهم) ينظر: الرازي: مختار الصحاح ص ٣٧٦ (ض ب ع).

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ م ص ٥٣.

وأن الرشيد لما سمعها قال: "أي والله إني عاجز حتى بعثوا بأمثال هذه كامن غيرته وسلطوا عليهم باس انتقامه".

٥ـ مشاركة العلماء عامة لنقد المتن:

بعد أن بينا مشاركة بعض المؤرخين لنقد المتن بشكل خاص نحب أن نشير هنا بأن أغلب علماء المسلمين - محدثين ومؤرخين وأصوليين وفقهاء - قد شاركوا في نقد المتون، ولكن تتبع هذا الأمر يحتاج إلى وقت وجهد كبيرين، وإليك بعض الأمثلة على ذلك.

خروج النبي ﷺ إلى الشام:

روى الترمذي في قصة خروج أبي طالب إلى بلاد الشام ومعه النبي ﷺ (وهو صغير يومئذ) في صحبة شيوخ من قريش. وفي هذه القصة، ذكر الراهب الذي نصح بعودة محمدﷺ، وفيها: أن أبا طالب رده، وبعث أبو بكر معه بلالاً، وزوده الراهب من الكعك والزبيب[١].

من السير والتاريخ وذلك لأن بلالاً إنما اشتراه أبو بكر بعد مبعث النبي ﷺ، وبعد أن أسلم بلال وعذبه قومه، ولما خرج النبي ﷺ إلى الشام مع عمه أبي طالب، كان له من العمر اثنتا عشرة سنة، ولعل بلالاً لم يكن ولد بعد، ولما خرج المرة الثانية، كان له قريب من خمس وعشرين سنة، ولم يكن مع أبي طالب وإنما كان مع ميسرة[٢].

توقيت الإسراء:

روى البخاري عن شريك بن عبد الله[٣] أنه سمع ابن مالك[٤] يحدث عن الليلة التي أسرى فيها برسول الله ﷺ، فقال[٥]: (أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ.. الخ) الحديث.

اختلف رواة السير والتاريخ في مسألة توقيت هذه الحادثة فمن قائل: أنها في العام العاشر من البعثة.

---

(١) السنن ٥/ ٥٥٠ - ٥٥١ (٣٦٢٠).

(٢) ينظر: الاجابة ص ٤٨، وميسرة هو: غلام خديجة بنت خويلد ﷺ، له ذكر في الطبري: ينظر: تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٢٨٠.

(٣) ينظر ترجمته ص ٣٨٤.

(٤) أي أنس بن مالك الصحابي.

(٥) صحيح البخاري ٢٤/ ٣٨٥ (٧٥١٧)، فتح الباري ١٣/ ٤٧٨ (٧٥١٧).

ومن قائل: أنها كانت قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً، كما نقله ابن سعد[١].

من المتفق عليه بين العلماء أن حادثة الإسراء كانت بعد البعثة وبنحو عشر سنين، وبذلك لا تتفق مع رواية البخاري أنها قبل البعثة.

هذا من جانب، ومن جانب آخر أن من المتفق عليه بين جميع علماء المسلمين أن الصلاة قد فرضت ليلة الإسراء، فهل يكون فرض الصلاة قبل نزول الوحي، وقبل النبوة ؟.

إذن فحديث شريك قد وقع فيه وهم، وقد أشار مسلم في صحيحه إليه، وقال: أنه قدم وأخر، وزاد ونقص، مشيراً إلى أن فيه عددا من الأوهام[٢]، وأقر بذلك الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث[٣].

قتل عمر أباه:

يروى في بعض الأخبار، أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قتل أباه، في الجهاد في أحدى الغزوات - أي بعد الإسلام - فيعلق شيخ الإسلام على متن هذه الرواية ويقول[٤]: "هذا كذب، فإن أبا عمر مات في الجاهلية قبل مبعث الرسول".

ملك يحتال على النبي ﷺ:

يروي بعض القصاص: أن ملكاً يقال له بشير بن غنام، أتى النبي ﷺ وعمل عليه حيلة، واخذ منه تسع أنفس، علقهم على النخل، فبعث النبي ﷺ علياً فخلصهم، وكان من جملتهم خالد[٥].

قال ابن تيمية [٦]:

"الحديث المذكور عن بشير بن غنام كذب، وهذا الاسم غير معروف، وخالد بن الوليد لم يؤسر أصلاً، بل أسلم بعد الحديبية، وما زال منصوراً في حروبه".

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى ١/ ٢١٣.

(٢) ينظر النووي: شرح صحيح مسلم ٢/ ٢٠٩ - ٢١٠.

(٣) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ١٣/ ٤٨٠.

(٤) ابن تيمية: أحاديث القصاص، تحقيق محمد الصباغ، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ص ٨٧.

(٥) ينظر السيوطي: تحذير الخواص ص ١٦.

(٦) مجموع الفتاوى ١٨/ ٣٥٨.

وقوع النجم في دار علي رضي الله عنه:

يروي ابن الجوزي، عن ابن عباس أنه، انقض نجم من السماء صبيحة المعراج، وبعد أن حدث النبي ﷺ ببعض ما رأى من العجائب، وانقسم الناس - من أهل مكة - بين مكذب ومصدق قال النبي ﷺ:

(في دار من وقع هذا النجم فهو خليفتي من بعدي).

فبحثوا عن النجم فوجدوه في دار علي، فقال أهل مكة: ضل محمد وغوى، وهوى إلى أهل بيته، ومال إلى ابن عمه علي بن أبي طالب فعند ذلك نزلت: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ١ - ٤].

قال ابن الجوزي منتقدا مضمون هذه الرواية[١]:

"والعجب عن تغفيل من وضع هذا الحديث[٢]، كيف رتب ما لا يصح في العقول، من أن النجم يقع في دار، ويثبت حتى يرى؟!".

تقدم إسلام علي رضي الله عنه:

روى الحاكم في المستدرك عن علي رضي الله عنه، قال[٣]:

(عَبَدْتُ الله مَعَ رَسُولِ الله ﷺ سَبْعَ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَعْبُدَهُ أحد مِنْ هَذِهِ الأمة).

وممن حاكم هذه الرواية من حيث المضمون، الإمامان الذهبي، وابن الجوزي.

حكم عليها الذهبي بالبطلان، لأن هناك عددا ممن آمن بالنبي ﷺ بعد الوحي مباشرة مثل خديجة، وأبو بكر، وبلال، وزيد بن حارثة[٤]، وكذلك علي، وإسلام هؤلاء كان في أوقات متقاربة، بالأيام، والساعات، وهؤلاء كلهم عبدوا الله مع نبيه، فكيف انفرد علي رضي الله عنه بالسبع سنين معه بعبادة الله ؟.

لكن الذهبي يحاول أن يبين سر هذا الخطأ، وذلك بأن الراوي قد سمع ذلك خطأ، وأنه رضي الله عنه

---

(١) الموضوعات ١/ ٣٧٢ - ٣٧٤.

(٢) نعم كان من قصر نظره، وصغر عقله، كان يعتقد أن جرماً من الأجرام السماوية ربما بقدر كرة القدم !!.

(٣) المستدرك ٣/ ١١٢.

(٤) بن شراحيل الكعبي، وكان يسمى بزيد بن محمد قبل نزول آية سورة الأحزاب: آية / ٥، استشهد في غزوة مؤتة، ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٥٤٤ - ٥٤٩، ابن حجر: الإصابة ١/ ٥٦٣ - ٥٦٤ (٢٨٩٠).

قال: عبدت الله ولي سبع سنين[١].

أما الإمام ابن الجوزي فرد الرواية سنداً ومتناً. فبعد أن تكلم في أسانيد هذه الرواية، وضعفها، أبطلها من حيث مخالفتها لتقدم إسلام خديجة، وزيد، وأبي بكر، ولأن عمر أسلم بعد البعثة بست سنوات، وكان المسلمون أربعين فكيف يصح أنه عبد الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة بسبع سنين[٢].

(١) ينظر الحاكم: المصدر السابق ٣/ ١١٢، ومع ذلك هناك من خطأ الذهبي حيث أن بعض أهل السير حددوا عمر علي حينما أسلم بعشر سنين، أو إحدى عشرة سنة، ينظر: الأدلبي: منهج نقد المتن ص ٣٢٣.

(٢) ينظر ابن الجوزي: المصدر السابق ١/ ٣٤١ - ٣٤٢.

obeikandl.com